

الرسالة

5 me Année, No 214.

Lundi - 9 - 8 - 1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ٢١٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ جمادى الثاني سنة ١٣٥٦ — ٩ اغسطس سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

مصطفى لطفى المنفلوطى

بمناسبة ذكراه الثالثة عشرة (١)

— ٢ —



كان مولد المنفلوطى كمولد الرافعي فى بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي سنة ؛ ولكنه كان خِلْفةً لنبعتين مختلفتين : فأبوه عربى صريح النسب إلى عترة الحسين ، وأمه تركية شابكة القرابة إلى أسرة الجوربه جي ؛ ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة ، فحفظ القرآن فى المكتب ، وتلقى العلم فى الأزهر ؛ إلا أن للأدباء من أبناء الفقهاء نَبوةً فى بعض الحالات على إرادة الوراثة والنشأة ؛ فهم يصدفون فى منتصف الطريق عن دروس الفقه

(١) أنظر العدد ٢١٠ من الرسالة

والأصول والعقائد ، إما لأن أذواقهم الأدبية الموهوبة لا تسيغ أساليب كتبها المعقدة ، وإما لأن طباعهم المدنية الحرة لا تطيق الحياة الدينية المقيدة . فكان السيد مصطفى على الكره من ورع قلبه ورعاية أبيه لا يُلقي باله كثيراً لغير علوم اللسان وفنون الأدب ؛ فهو يحفظ الأشعار ، ويتصيد الشوارد ، ويصوغ القريض ، وينشئ الرسائل ، وتسير له شهرة في الأزهريين بذكاء القريحة وروعة الأسلوب فيقربه الأستاذ الإمام ويرسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من الأدب والحياة . ثم يستفيد المنفلوطي من قربه إلى الإمام صلته بسعد باشا ، ومن زلفاه لدى هذين العظيمين نُفوقه لدى (المؤيد) ؛ والامام المجتهد محمد عبده ، والسياسي الخطيب سعد باشا ، والصحفي الكاتب على يوسف ، كانوا أقوى العناصر فى تكوين المنفلوطى الأديب بعد استعداد فطرته وإرشاد والده ؛ وأولئك الثلاثة كانوا على ما بينهم من التفاوت فى نواحى النبوغ أفهمَ رجال العصر الحديث لحقيقة الأدب وأشدهم حدبا على بؤس أهله

كان المنفلوطي لا يعمل جاداً لشهادة الأزهر ، وإنما كان يعتمد في نيلها على جاه الإمام ، كما كان يعتمد من هم على شاكلته من أبناء العلماء على وساطة والديهم ؛ والإمام المفتي مفسر وحى الله ، وشارح فن عبد القاهر ، ومعيد الأدب إلى الأزهر ، كان يقيس كفاية الطالب بمقياس سيبويه لا بمقياس أبي حنيفة . فلما قبضه الله إلى رحمته جزع المنفلوطي فيه على سنده وأمله ، وارتد مقطوع الرجاء إلى بلده . ثم نعش الله عاثر أمله بعد فترة من الزمن فهب يبتغى فى (المؤيد) الوسيلة إلى النباهة والنجح ، وأوى من الوزير سعد باشا حامي النبوغ إلى ركن منيع ، فخلق له منصب التحرير فى وزارة المعارف فضمن له به رغد العيش ووفرة الانتاج حتى اختار الله له ما عنده

***

كان المنفلوطى أديباً موهوباً حظ الطبع فى أدبه أكثر من حظ الصنعة ؛ لأن الصنعة لا تخلق أدباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طريقة مستقلة ؛ والنثر الفني كان على عهده لوناً حائلا من أدب القاضى الفاضل ، أو أثراً ماثلاً لفن ابن خلدون ؛ يتمثل الأول قوياً فى طبقة المويلحى وحفنى ناصف ، ويظهر الثانى ضعيفاً فى طبقة قاسم أمين ولطفى السيد ؛ ولا يستطيع ناقد أن يقول إن أسلوبه كان مضروباً على أحد القالبين ؛ إنما كان أسلوب المنفلوطى فى عصره كأسلوب ابن خلدون فى عصره بديعاً أنشأه الطبع القوى على غير مثال ؛ والفرق أن بلاغة (النظرات) مرجعها إلى القريحة ، وبلاغة (المقدمة) مرجعها إلى العبقرية .

أعلم أن المنفلوطى تأثر فى القديم بابن المقفع وابن العميد ، وفى الحديث بجبران ونعيمة ، ولكن هذا التأثر دخل فى فنه دخول الإلهام والإيحاء ، لا دخول التقليد والاحتذاء ؛ فله من الأولين إشراق الديباجة وقوة النسج ، وله من الآخرين جدة الموضوع وطرافة الفكرة ، ولكنك لا تتذكر وأنت تقرأه أحداً من أولئك جميعاً

عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ فى إجادتها شأواً لا ينتظر من نشأة كنشأته فى جيل كجيله . وأذكر أننا كنا نقرأ (غرفة الأحزان) و (اليتيم) وأمثالها فنطرب للقصة على سذاجتها أكثر مما نطرب للأسلوب على روعته . وسر الذيوع فى أدب المنفلوطى ظهوره على فترة من الأدب اللباب ، ومفاجأته الناس بهذا القصص الرائع الذى يصف الألم ويمثل العيوب ، في أسلوب طلى وسياق مطرد ولفظ مختار . أما صفة الخلود فيه فآتيةٌ من جهتين : ضعف الأداة وضيق الثقافة . فأما ضعف الأداة فلأن المنفلوطى لم يكن عالماً بلغته ولا بصيراً بأدبها ، لذلك تجد فى تعبيره الخطأ والفضول ووضع اللفظ فى غير موضعه . وأما ضيق الثقافة فلأنه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق ، ولم يتصل اتصالاً مباشراً بعلوم الغرب ؛ لذلك تلمح فى تفكيره السطحية والسذاجة والإحالة . فإذا قدر الله لأدب المنفلوطى أن يفقد سحره وخطره فى أطوار المستقبل ، فإن تاريخ الأدب الحديث سيقصر عليه فصلاً من فصوله يجعله فى النثر بمنزلة البارودى في الشعر . وكفى بذلك عرفان فضل وخلود ذكر . أما مسألة الأدب الباكي والأدب الضاحك ، أو الأدب الضعيف والأدب القوى فمغالطة مريضة من النقد سنعرض لها فى فرصة أخرى .

احمد حسن الزيات

أدب التمـــــرد

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى ختام مقالنا عن أدب الموافقة قلنا « إن أناساً يتمردون ولا يجيئون بخير مما هو منظور من الأدباء الموافقين المستسلمين ، لأن التمرد المصطنع إن هو إلا موافقة مستورة ومجاراة معكوسة : فيه كل ما يؤخذ على التقليد من نقص ، وكل ماينمى عليـه من وخامة ، وذلك ما نعود إلى تفصيله فى مقال تال »

فليس كل التمرد إذن خيراً من كل الموافقة ؛ وليس كل التمرد ابتكاراً وخلقاً واستقلالا بالرأى والفطرة . فكيف على هذا نميز بين التمرد النافع المحمود والتمرد الذى هو ضرب من الموافقة المعكوسة ؟

والمحك الذي لايخيب ولا يخطىء فى التمييز بين كل أدب صحيح وكل أدب سقيم هو هذا : هو أن الأدب الصحيح لن يكون آلياً يجري على نمط الأشياء التى تصنعها الآلات والتى تعرف سلفاً كما يعرف كل مصنوع فى قالب مصبوب .

والأدب الذى يوافق ولا يخالف « آلى » محض ، لأن صاحبه ينزل عن مرتبة الانسان إلى مرتبة الآلة التى تحذو حذو ماسبقها ولا تضيف إليه أو تمسه بتحسين وتنقيح .

وكذلك الأدب الذي يتمرد على كل شىء ولا يميز بين ما هو أهل للموافقة وما هو أهل للنسخ والمناقضة إنما يصنع كما تصنع الآلة ويغنيك عن صاحبه كل الغنى ، لأنك تعرف رأيه قبل أن تسمعه ، وتدرك أسلوبه قبل أن تراه .

وغاية ما بين هذا وذاك من فارق أن الموافق يؤتى له بشىء فيراه كما يراه السابقون ولا يحب أن يراه على خلاف مانحلوه من لون ورسموه من شكل ونهجوه من طريق : يقال له هذا أبيض ، فيقول نعم هذا أبيض ؛ ويقال له هذا جميل ، فيقول نعم هذا جميل .

أما المتمرد الكاذب أو المتمرد المصطنع فأنت تعلم مايقول عن الأبيض قبل أن يلمحه بعينه ، وما يقول عن الجميل قبل أن يتأمله بفكره ويروزه بحسه وبصره : فالأبيض عنده أسود ، والجميل عنده قبيح ، والنافع عنده ضار ، والضار عنده نافع على غير قياس وفى غير تمييز وتمحيص . فاذا به ينزل عن مرتبة الانسان وينقلب آلة معروفة الوزن والحساب على العكس والمناقضة ؛ ومثل هذا لايخلق جديداً ولا يحمل فى عالم الأدب والفن أمانة ، ولا يبالى بشأنه إلا كما يبالى بشأن المريض لاستطلاع حالة من أحوال سقم النفوس والأذواق .

* * *

إن « الآلية » هى الوصف الوحيد الذى ماجاز قط ولن يجوز أبداً في نتاج أدب صحيح أو فن صحيح .

وإنما يجوز الخلاف فيما عدا ذلك من الأوصاف . أما وصف الآلية فالاتفاق على انكاره بداهة من البداهات ، إذ كان معدن الفن كله حرية السليقة والقدرة على الابداع والاتيان بالجديد حتى فى عرض المعنى القديم .

ونحن حين نقول الحرية لا نقصر الغرض منها على حرية الفنان فى مواجهة العسف والاملاء والإيحاء من غيره ، ولا نقصد منها أن الفنان يأبى ما يرسم له ويساق إليه على حكم القسر والاضطرار ؛ ولكننا نقصد بها مقصداً قد يلوح فى بادىء الرأى غريباً نابياً وهو هو المألوف المشهود فيما يمارسه وفيما قد مارسه كل صاحب فن وكل صاحب رسالة أدبية : نقصد بها « حرية الفن » حتى بين الفنان ونفسه ، فليس له أن يتعسف ولا أن يدعو ملكته إلى غير ما ترضاه وتنساق اليه بمحض « الحرية » وعفو السليقة ، وليس له هو أن يخط للحرية الفنية حدودها أو يشق لهـا طريقها ، لأنها « حرية مطلقة » لا فرق عندها بين طغيان صاحبها وطغيان عدوها ، ولا محاباة عندها فى استجابة أمر تراد عليه .

* * *

ومن الأدباء الواقعيون والخياليون ، ومنهم أنصار الماضى وأنصار المستقبل ، ومنهم الماديون والروحيون ، ومنهم المتفائلون والمتشائمون ، إلا أنهم جميعاً فى هذه الخصلة سواء ؛ وهى الخصلة التى يتمردون بها على الآلية ويرتفعون بالانسانية إلى ذروتها العليا ؛ وما كانت للانسانية علامة ترفعت بها عن درك الحيوان إلا التكليف ؛ وما كان التكليف إلا الدرجة الأولى من سلم الحرية التى تأخذ

بشئ وتدع ما عداه ، والتى تختار بين الحميد والذميم والمطلوب والممنوع . أما الدرجات فوق ذلك فهى « الحرية الفنية » التى تنبعث من باطن الانسان بغير آمر ولا زاجر ، ولا تتوقف على التكليف والتخيير .

نعم ليس الواقعيون أو الماديون عنواناً آخر للموافقين أو المقلدين . فمن يصف الواقع ليس باللازم اللازب أن يخضع له ويرضاه ، ومن ينكر المثل العليا ليس باللازم اللازب أن ينكر الحركة ويخلد إلى الجمود .

لقد كان المتنبي « واقعياً » إلى جانب العمل ، وكان المعرى واقعيا إلى جانب الزهد والقعود ، وكلاهما مع هذا مثل بارز فى التمرد والثورة على « الآلية » والتقليد ؛ فأسلوب المتنبي جديد ، وخبرته للناس جديدة ، وثورته على الواقع معناها أنه من المتمردين وليس من الموافقين .

أما المعرى فهو على تشاؤمه وزهده قد دفع الحاضر المحيط به دفعة الجبار الذى يهدم بيديه وهو قائم فى مكانه . وقل فيه ماشئت إلا أنه آلة وليس بانسان فى الصميم من الحرية الانسانية ؛ وقل في تمرده ماشئت إلا أنه تمرد آلى وليس بتمرد « حر » يمتاز به المعرى بين سائر المتمردين ؛ وإلا فمن هو المتمرد الذى يشبه المعرى فى تناول الأمور ونقد العيوب وصياغة النقد فى منظومه ومنثوره؟ ؟ تلك علامة الأدب الصحيح أو الفن الصادق : علامته أن عشرين شاعراً ينكرون أموراً بعينها ثم يختلفون فى نمط الإنكار اختلافا يحمل عنوان كل شاعر منهم ولا يخالط غيره من العناوين

***

من الواجب أن نثور على أدب الموافقة

وأوجب منه أن نثور على أدب « الثورة » الكاذبة ، أدب التمرد البخارى أو الكهربائى الذي يحطم ذات اليمين وذات الشمال كما تحطم القاطرة بغير سائق .

وفى أوربا اليوم غاشية من هذا التمرد الزرى يوشك أن تسرى إلى أمم الشرق ، لأنها أشبه الأمور معاً بكسل الكسالى وجموح الجامحين . فأما الكسلان فالتمرد الآلى مغنيه عن التحصيل ، ومغنيه عن إجهاد الذهن ورياضة الذوق على التفريق والتمييز ؛ وأما الجامح الأهوج فالتمرد الآلى فى يديه كالسيف الذي يشهره المجنون وهو مغمض العينين أو مفتوحهما على حد سواء

وأظهر ما كان ظهور التمرد الآلى فى عالم التصوير ، لأنه الفن الذى يفاجىء العيون ولا يخفى الشذوذ فيه حتى يتسرب إلى الأفكار والأذواق . فالمصورون المجددون اليوم فى أوربا اللاتينية يصورون لك ما شاءوا الا ما تراه وتحسه وتتخيله وتفقه مغزاه . ومن المحقق أنك تبحث عن وجه الرجل المرسوم فلا تراه ، وعن مشاهد الطبيعة المرسومة فلا تراها ، وعن الرمز المتوقع أو الشبه المنتظر فلا تلمح أثراً لهذا ولا لذاك . . . وكل شكل جائز أن تلقاه فى الصورة إلا الشكل الذى يجب أن تلقاه ! ! ولا تدرى بعدها ما الذى على الانسان أن يتعلمه ليسلك فى عداد المصورين ؟ هل يتعلم الرسم ؟ هل يتعلم مزج الألوان ؟ هل يتعلم التشريح ؟ هل يتعلم التعبير ؟ هل يتعلم مشابهة الملامح ؟؟ كلا ! لا ضرورة لذلك فى صناعة التصوير على مذهب هؤلاء المجددين . فما من صورة حديثة فيها سمة من تلك السمات . ولعل تعلم الحلاقة أو تعلم الطبخ أو تعلم النسيج أقرب إلى إخراج صورة الانسان على هذا المثال من تعلم الرسم والتشريح والألوان .

وإنما تبدو لنا حقيقة هذا التمرد إذا نظرنا نظرة واحدة إلى وجوه دعاته والمتظاهرين بفهمه واستحسانه . فجميعهم أمساخ مشوهون ، أو ضعفاء مهملون ، لا يقعون فى موقع من الأنظار ولا الخواطر . ودأب هذه الزمرة من الناس أن تنكأ الأذواق والضمائر لتبلغ ممن يعافونها ويعرضون عنها مبلغاً من الانتباه والمبالاة ، وتلك سريرة خفية فى جماعة الخلعاء حيث كانوا وحيث تهيأ لهم الظهور بالتفحش فى الأخلاق ، أو التفحش فى الأذواق ، ومن كان منهم سوىّ الخلق معتدل التركيب فى ظاهر الأمر فآفته لا محالة نقمة مطوية تلحقه بزمرة الأمساخ والمشوهين ، ولولا ذلك لما جنح إلى إيذاء الشعور واللجاجة فى إيذائه حتى يقال من حوله إنه ليس بحقير وإنه لا يترك بغير انتباه .

ذلك نموذج من وباء « التمرد الآلى » فى الفنون الأوربية الحديثة ، وهو تمرد أدنى إلى الغثاثة والعقم من كل جمود وكل موافقة .

عباس محمود العقاد

حلم بالمدرسة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

رأيت فى المنام أنى رددت تلميذاً . وقلما أذكر ما أراه فى أحلامى لأني أنام كالقتيل من فرط الاعياء والنصب ثم لأن ذاكرتى خوانة . وأحسب أن من فضل الله على أنه أعفانى من الشغلان بالأحلام وتأويلها . فما ينقصنى من دواعى الاضطراب إلا هذا . وقد كنت فى حياة أمي رحمها الله أصبح فأدخل عليها وأجلس إلي جانبها على حشيّة مطروحة فوق السجادة وأمامها الموقد وعليه وتحته أدوات القهوة كلها فتصب لى شيئاً فى الفنجانة وتناولنيها فأسألها : « نمت نوماً مريحاً ؟ » فتقول : « لله الحمد » فأسألها مرة أخرى : « أحلام لطيفة إن شاء الله ؟ » فتقص على مارأت وأنا مصغ وبى كالذهول من شدة استغرابى لدقة الوصف وإحاطته بالألوان والأصوات والاحساسات وما يدور فى النفس من معان ، وأرانى أسأل نفسى وأنا أنصت : « أتراها تتخيل ؟ » ولكنى أعرفها صادقة تتقى الله وتخشاه فلا يسعنى إلا أن أتعجب لهذه القدرة التى حرمت مثلها .

وأذكر أنه لم يسؤنى أنى رجعت تلميذاً أجلس فى الصف وأصغي إلى المعلم وأجعل بالى إليه . وقلت لنفسى وأنا ماض إلى المدرسة : إن الحياة مدرسة لا تنتهى . والمرء لا يكف عن التعلم لحظة واحدة إلا حين تنقطع أنفاسه ويخرج من الدنيا . وصحيح أن أكثر ما يتعلمه الانسان فى مدرسة الحياة يدفن معه فلا ينتفع به أحد — لا هو ولا سواه — ولو كان الذي أفاده فى حياته يبقى بعده ويتخلف فى الدنيا دونه لما كان المرء خليقاً أن يشعر بعبث التجارب وما استطاع أن يحصل فى فسحة العمر طالت أم قصرت ؛ إذ ما خير أن أتعلم وأن أحصل وأن أستخلص الحكمة والعبرة مما أجرب وأعانى إذا كان كل ذلك يطوى معي بل لا يعود له وجود ؟ ولكن ما يبدو من قلة الجدوى فى النهاية لا يمنع أننا نظل نتعلم ما دمنا أحياء . وإذا كان هذا هكذا فالأولى أن يكون المرء تلميذاً جهرة وصراحة فلا يذهب يدعى أنه فرغ من التعلم وحصل كل ما ينبغي له تحصيله . وهذا الذى أصنعه الآن من استئنافى عهد التلمذة هو الذى يقضى به الصدق — صدق النفس على الأقل .

ولا أذكر ما الذي ردنى إلى المدرسة وكل ما أعرفه أني رأيتني أقصد اليها وأنى كنت فرحاً بذلك ، وكان معى شيء أحمله ولم ألتفت إليه إلا بعد أن صرت بين التلاميذ الآخرين فقد وجدت « الفصل » غاصاً بهم ، ولكنى لا أذكر منهم إلا وجه الأستاذ محمود عزمى فقد كان يجلس إلى أقصى اليمين ، وكان مكانى الذي قصدت إليه فى أقصى الجنوب ، وكانت وراءه نافذة مغلقة فوضعت ما أحمل على حافتها ، وعرفت فى هذه اللحظة فقط أن الذى أحمله هو قطع شتى من الحلوى والفطائر والسندوتش . وتذكرت وأنا أضع ذلك على حافة النافذة المحكمة العسكرية التى شهدت جلساتها أيام كنت أعمل فى جريدة الأخبار . وكانت المحاكمة طويلة وكنت أوافى الجريدة بأنبائها مفصلة ، وكانت الجلسات تعقد فى الصباح وفى المساء أيضاً كل يوم . وكنت أتعب وأجوع وأظمأ ، فكان المرحوم أمين بك الرافعي يبعث إليّ مع الخادم الذى يجيء ليأخذ منى الأوراق التى كتبتها بالسندويتش وما إليه و « بترموص » فيه عصير الليمون فكنت آكل وأشرب وأفرق

وكان الأستاذ الذى وجدته فى « الفصل » شاباً وكنت أحس أنى أعرفه . ولم أستغرب أن يكون شاباً ، وحدثت نفسي ان هذا خير من أساتذتى القدماء الذين كانوا جميعاً من الشيوخ ، ولا أعنى الشيوخ ذوي العمائم بل من الشيوخ فى السن ، ولا استثنى منهم إلا واحداً هو الأستاذ الشيخ احمد الاسكندرى ، أرانى لا أزال أضن به أن أسلكه مع سواه ممن علموني فى صغرى . وقلت لنفسى وأنا واقف فى مكانى — فما أذكر أنى قعدت — عسى أن يسير بنا هذا الأستاذ الشاب فى نهج مستقيم واتجاه سديد فقد أضلنا تعليمنا القديم وحيرنا وتركنا كالتائهين فى الصحراء ، وما كان لنا من أساتذتنا السابقين مرشد أو معين ؛ وأحسبهم ما كانوا يعرفون إلا ما يعلموننا ، فلهم العذر إذا كانوا قد عجزوا عن هدايتنا وإرشادنا والأخذ بأيدينا .

وكان الأستاذ يحمل خيزرانة — فما استطعت حتى فى الحلم أن أتخلص من صور المدرسة القديمة ، وكان أبرز ما فيها العصا —

وابتسمت وأنا أنظر إلى الخيزرانة فى يد المعلم ونظرت إلى الأستاذ عزمى فأدرك ما أريد وهز رأسه وابتسم ابتسامته المحببة وقال: « أيوه يا سيدى . . . لا يزال القديم على قدمه مع الأسف »

وقال الأستاذ شيئاً فهمت منه أنه يريد أن يلقى أحدنا كلمة استهلال – أي أن يفتتح الدرس ، فأعربت عن استعدادى لألقاء الكلمة المطلوبة ، فقال الأستاذ عزمى : « من أول يوم يا مازنى ؟ » فابتسمت له راضياً وتنحنحت استعداداً للكلام ، وأذن لى الأستاذ فقلت كلاما لا أذكر منه مع الأسف ولا حرفاً واحداً ، ولكني أذكر أني كنت وأنا أتكلم أحدث نفسى بأن الأثرة كانت تفسد على التلاميذ حياة المدرسة المشتركة فكان أحدنا إذا اشترى شيئاً من الحلوى أو « المخلل » – فقد كنا نشتريه قبيل الغداء ونحمله معنا إلى موائد الطعام – أقول إن أحدنا كان إذا اشترى شيئاً يضن به على إخوانه ولا يسمح لهم بأن يشاركوه فيه ، وكان ربما ذهب إلى ركن خفي وأخرج من جيبه بعض ما فيه وراح « يبلع » قبل أن يفاجئه أحد ويطلب منه قطعة . ولكنا كبرنا الآن وعرفنا أن الأثرة عيب وأن لذة المشاركة أحلى وأطيب . وإن جديراً بى فى مستهل حياتى المدرسية الجديدة أن أستن سنة الإيثار أو على الأقل المشاركة ، وأن أقلب جو المدرسة جو تعاون ومودة .

كان هذا يدور فى نفسى وأنا ألقى كلمتى ، فامتدت يدى إلى النافذة واستراحت أناملى عليها إلى أن أستطيع أن أهتدى وأنا أتكلم إلى مناسبة تسمح بأن أوزع الحلوى والسندوتش على الزملاء ، ولكن المناسبة لم تعرض مع الأسف لسبب خارج عن إرادتى فقد استيقظت فانتسخ الحلم قبل أن يتم . وكان الذى أيقظنى صوت دق عنيف على باب العمارة وصياح عال : « افتح يا محمود . . . إنت ميت ؟ . . »

فأخرجت الساعة من تحت الوسادة ونظرت إليها فاذا هى الثالثة صباحا ، فقلت : والله إن محموداً لمعذور ! وهل كان عليه أن يظل واقفاً بالباب ينتظر مقدم صاحبنا إلى الفجر ؟ وفتح الباب ودخل الرجل – فقد كان رجلا كما لا أحتاج أن أقول – يزمجر ويبرطم وبدأ الفصل الثاني من رواية إزعاج خلق الله فى سكون الليل فقد شرع يدق باب شقته ويصيح وينادى ، وبقى على هذا الحال ربع ساعة لا تنقص دقيقة . وكان الذى يثير ثائرته ويهيجه إلى ما به أن من فى بيته – لا أدرى من – لا يريدون أن يفتحوا له البـاب ، وكانوا يقولون له : « اذهب فنم حيث كنت » فيرج الباب ويهزه ويهدد بكسره ويدعو البواب المسكين أن يساعده على تحطيمه كأنما يمكن أن يعينه البواب على فعل كهذا . . . وأخيراً فتح الباب ووسعنى أن أضحك قليلا وأن أستأنف النوم – لا الأحلام مع الأسف . . . وتذكرت حكاية الرجل الذى رأى فى منامه أن واحداً يعرض عليه تسعة وتسعين جنيها وهو يأبى إلا أن تكون مائة ؛ واشتد الحوار واللجاج بينهما فاستيقظ الرجل فنظر فى يديه فألفاهما خاليتين فارغتين كفؤاد أم موسى ، فندم وأغمض عينيه ومد كفه وقال « طيب رضينا . . . هات بقى »

كذلك أنا والله ... كنت أود أن أعود إلى حلمى لأرى ما يكون منى ومن إخوانى . وكان الذى يعنينى على الخصوص أن أعرف كيف يكون سلوكنا فى المدرسة وهل نعود إلى « الشقاوة » القديمة التى اشتهرنا بها ؟ . وهل « نحوى » على المدرس كما كنا نفعل فى صبانا ؟ . وهل يمكن مثلا أن ننثر الحبر الأزرق على ثيابه البيضاء حين يمر بنا ؟ . ونضع سن الريشة بين « الدرج » وغطائه ونذهب نخرج منها أصواتاً قد لا تكون موسيقية ولكنها كافية لإزعاج المعلم وبلبلة خواطره وتحييره الخ الخ

والأحلام — على ما يقال — تؤول بضدها ، فإذا كان هذا صحيحاً فهل معنى هذا أنى سأرتد معلماً ؟ .. أعوذ بالله .. ولا قدر الله .. لقد نجوت من هـذا فلن يردنى إليه شئ كائناً ما كان . وذكرت لهذه المناسبة حادثاً مضحكا — أو لا أدرى ماذا يفعل — ذلك أنى كنت محرراً فى جريدة الأخبار . وكانت الأحكام العسكرية مرفوعة فى ذلك الوقت ولكن الرقابة التحفظية على الصحف كانت قد ألغيت ، وكان صديق لى يبعث إلىّ بمقالات عن وزارة المعارف ويضع فى ذيلها اسماً مستعاراً مثل « مطلع » أو نحو ذلك فقـد نسيت . وكانت هذه المقالات تقض مضجع الوزير يومئذ . وكنت أخشى أن نفاجأ بهجوم على الجريدة فتؤخذ الأصول ويعرف الكاتب فكنت أنقلها بخطي وأحرق الأصل ؛ ويظهر أن أحدهم

اتصل بعمال المطبعة الذين لا يعرفون أن فى الأمر سراً لأنهم يرون المقالات بخطى . فاقتنعت الوزارة أنى أنا الكاتب ولم تستغرب ذلك لأني كنت من موظفيها ومن رجال التعليم بها . وفي إحدى الليالي كنت عائداً إلي البيت — وكان يومئذ فى صحراء الامام — فصار كل من يلقانى هناك يقول لى: إن الشيخ (يريدون شيخ الامام وهو قريبي) يطلبك فسألت عنه ، فلم أجده ، فذهبت إلى بيتى ونمت ، وفي الصباح بعث إلى الشيخ خادمه فلحقت به فقال: « إركب » فركبت . وكانت له مركبة يجرها جواد أصيل وسألته : « إلى أين إن شاء الله ؟ » قال « إلى وزارة المعارف » فدهشت وسألته : « وماذا أصنع فى وزارة المعارف ؟ » قال: « تتسلم عملك » فصحت من فرط الدهشة : « عملي؟.. ماذا تعنى ؟ » قال: « جاءنى وزير المعارف أمس وأنت تعرف أنه صديقي وقال لى إنه علم أن المازنى قريبي وأنه يعتمد على فى اقناعك بقبول العودة إلى وظيفة كوظيفة أقرانك فى الوزارة » فأدركت أن الوزير غلط وظن أني أنا كاتب المقالات التي أقامت القيامة وقلت : « إن المسألة فيها غلط . . لست كاتب المقالات » قال : « زى بعضه » قلت : « هذه رشوة لا أستحقها مع الأسف » قال : « يا أخى لا تكن مجنونا » قلت : « مجنون . . عاقل . . كيف أستطيع أن أدخل وزارة المعارف وأنا أكتب كل يوم بامضائى ضد الوزارة كلها ؟ . بأى وجه ألقى الناس ؟ . . كل ذمة لها ثمن . . لا تحسب أن أحداً أرفع من أن يرشى . . ولكن من سوء الحظ أن هذه الرشوة تعرض فى الوقت الذى لا يسعنى فيه أن أقنع ضميرى بقبولها . . وقد قلت لك إنى لست الكاتب كما توهمت الوزارة فأرحها وأعفها من تكلف هذه الرشوة . »

وانتهى الأمر على هذا الوجه . وانى ليخيل لى أحيانا أنى كنت مغفلا ولكن من يدرى ؟ . . وسواء أكنت أم لم أكن فما أعرفنى ندمت قط على شيء مضى وفات . . ولماذا أعنى النفس بالماضى ولا خير في ذلك ؟ والحاضر حسبي مشغلة . والحمد لله على ما وفق وأعان .

ابراهيم عبد القادر المازنى

كان لمصر أسطول

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر بين الدول التى دعتها الحكومة البريطانية إلى الاشتراك فى حفلة العرض البحرى الكبرى التى أقيمت لمناسبة تتويج جلالة الملك جورج السادس ، ولكن مصر اعتذرت عن إجابة هذه الدعوة لأنها لا تملك من الوحدات البحرية اللائقة ما يصلح لاشتراكها فى مثل هذا الحفل الدولى العظيم

وبالأمس احتفلت مصر بتتويج جلالة مليكها الفاروق احتفالا رائعاً يذكرنا جلاله وروعته بمجد عصورنا الذاهبة وعظمتها ، وروعة أيامها ومناسباتها المشهودة ؛ واشترك الجيش المصري الباسل بوحداته البرية والجوية فى هذه المناسبة السعيدة اشتراكا يذكرنا بماضيه العسكرى الباهر ، ويبعث إلى الأمل فى أن يغدو سراعا كما كان فى الماضى درع البلاد وحصنها الحصين

ولكنا لم نسمع للأسف صوت الأسطول المصري، ولم نشهد أثره فى تلك المناسبات العظيمة لأن مصر لا أسطول لها

هذه الحقيقة المؤلمة يجب أن تلفت أنظار مصر المستقلة إلى مركزها الدقيق بين دول البحر الأبيض المتوسط ، وإلى ما يمكن أن تواجهه فى المستقبل من الأخطار من هذه الناحية خصوصاً فى هذا العصر الفياض بالتطورات والاحتمالات السريعة ، وفى هذه المياه التى تنذر من آن لآخر أن تضطرم بكدر الخصومات والمنافسات التى تتفاقم عواملها يوماً بعد يوم

فمصر بلد بحرى بلا ريب تمتد شواطئه إلى مسافات بعيدة على طول البحرين التاريخيين العظيمين : بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط ، وبحر القلزم أو البحر الأحمر ؛ وقد لعب هذان البحران العظيمان منذ فجر التاريخ فى تاريخ مصر وفى مصايرها أدواراً خطيرة ؛ وسوف يلعب كلاهما بلا ريب دوره الخطير فى مستقبلها

وقد شعرت مصر دائماً بمركزها البحرى الخطير فى هذين البحرين ، فكان لها منذ أقدم العصور أساطيل حربية تجوس

خلال هذه المياه وتذود عن شواطئها ، وأساطيل تجارية تحمل تجارتها إلى أقصى ثغور العالم القديم

وكما أن لمصر تاريخ مجيد فى الغزوات والفتوحات البرية التى بلغت أحياناً قاصية الأناضول شمالاً ، وأقاصى السودان والحبشة جنوباً ، فكذلك لمصر تاريخ مجيد فى الغزوات والفتوحات البحرية، بل إن تاريخ مصر البحرى يبدو أحياناً فى ألوان من العظمة تضارع سيرة أعظم أساطيل هذه المياه فى العصور الوسطى ؛ فقد كان الأسطول المصرى طوال هذه العصور يملك ناصية شرق البحر الأبيض ، ويناهض أسطول الدولة البيزنطية ، وأسطول البنادقة أعظم أساطيل العصر ، وكانت له فى تلك المياه جولات وفتوحات عظيمة حتى أواخر القرن الخامس عشر

ومنذ القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) نرى مصر تعنى بأسطولها عناية فائقة ، وتنشئ دور الصناعة أو المصانع البحرية العظيمة لتغذى أسطولها باستمرار بمختلف الوحدات البحرية ؛ وكانت دور الصناعة بمصر والاسكندرية ودمياط أيام الفاطميين تخرج أعظم الوحدات البحرية المعروفة فى ذلك العصر . وبلغ الأسطول المصري فى أوائل عهد الدولة الفاطمية نحو ستمائة قطعة ترابط فى الاسكندرية ودمياط وعسقلان وفى البحر الأحمر . وكان للاسطول وشئونه ديوان خاص يعرف بديوان الجهاد أو ديوان العمائر ؛ واشتبكت مصر أيام الفاطميين مع الدولة البيزنطية فى عدة معارك بحرية شهيرة . وفى أيام الدولة الأيوبية لعب الأسطول فى المعارك الصليبية دوراً خطيراً ؛ وكانت الحراقات أو قاذفات النار المصرية عاملا حاسما فى هزيمة لويس التاسع ورده عن مصر . ومع أن الأسطول لم يحظ أيام دول السلاطين بمثل العناية التى حظى بها أيام الفاطميين ، فإنه لبث منذ القرن الثالث عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر عاملاً هاماً فى التوازن الدولى فى شرقى البحر الأبيض المتوسط . وفى أوائل القرن الخامس عشر افتتح الأسطول المصرى جزيرة قبرص فى عهد الملك الأشرف بارسباى (سنة ١٤٢٥ م) ، وغزا رودس أكثر من مرة ؛ وكان يشتمل يومئذ على نحو ستين قطعة ، وكان معظم بحارته من المتطوعين الذين يهرعون إليه كلما دعا داعى الجهاد . وما زالت مصر أيام السلاطين تحتفظ بأسطولها حتى الفتح العثمانى ، بل نرى السلطان الغورى آخر أولئك السلاطين يجدد الأسطول المصري ويعده لمحاربة البرتغاليين للمحافظة على طريق الهند القديم الذى كانت مصر حارسته وكانت تعلق عليه أهمية تجارية خاصة . وفى سنة ١٥٠٨ م أعني قبيل الفتح العثمانى بأعوام قلائل نرى الأسطول المصرى بقيادة أمير البحر حسين يهزم الأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر بقيادة الأميرال لورنسو الميدا ، ثم يشتبك بعد ذلك فى معارك بحرية شديدة مع أسطول برتغالى آخر بقيادة أمير البحر الشهير البوكركي على مقربة من باب المندب

والظاهر أن مصر لبثت بعد الفتح العثمانى مدى حين تحتفظ بأسطولها ، أو على الأقل بسمعتها البحرية ، فنرى التواريخ النصرانية تنوه بشجاعة البحارة السكندريين فى موقعة لبانتو البحرية الشهيرة التى نشبت بين الأسطول العثمانى بقيادة على باشا، والأساطيل النصرانية المتحدة بقيادة الدون خوان سنة ١٥٧١م ، واشتركت فيها إلى جانب الترك وحدة بحرية مصرية ، تنوه التواريخ النصرانية بشجاعتها وبراعتها

بل مالنا نرجع بعيداً ، وقد كان لمصر فى أوائل القرن الماضى أسطول ضخم ، وكانت من الدول البحرية التى يحسب حسابها فى شرقى البحر الأبيض المتوسط ؛ ففى عهد محمد على استعادت مصر صفتها القديمة كدولة بحرية ، واستأنف الأسطول حياته فى هذه المياه بعد أن قطعت زهاء ثلاثة قرون . ومع أن الأسطول المصرى لم يبلغ عندئذ قوته القديمة ، فإنه لم يلبث أن غدا عاملا يحسب حسابه . واهتم محمد على بإنشاء الأسطول منذ بداية حكمه ، فأنشأ أسطولاً صغيراً فى البحر الأحمر ثم قرنه بإنشاء أسطول كبير فى البحر الأبيض المتوسط ، وأنشأ بالاسكندرية دار صناعة عظيمة لصنع الوحدات البحرية . ومع أن الأسطول المصرى قد نكب فى موقعة نافارين الشهيرة فى المياه اليونانية سنة ١٨٢٧ ، فان عبقرية محمد على أبت ألا أن تنشىء لمصر أسطولاً آخر أعظم وأضخم ، فلم تمض أعوام قلائل حتى كان لمصر أسطول ضخم قوامه ست وثلاثون قطعة من مختلف الوحدات ، بها الف وثمانمائة مدفع ؛ وبلغ رجاله نحو ثمانية عشر الف مقاتل ؛ وذلك فى سنة ١٨٤٣ أعنى لأقل من قرن مضى . وكانت معظم هذه الوحدات البحرية من صنع دار الصناعة المصرية الشهيرة ، وقليل منها اشترى من الخارج

وأنك لتدهش حقاً إذا علمت أن الميزانية المصرية لم تزد إيراداتها فى ذلك الحين على ثلاثة ملايين جنيه ، وكانت هذه الملايين الثلاثة كافية للانفاق على الجيش والأسطول ، ومختلف المرافق والمشاريع الاصلاحية العديدة التى اضطلع بها مصلح مصر العظيم

هذا ولسنا نتحدث هنا عن أسطول مصر التجاري ، وكيف كان طوال العصور الوسطى يأخذ بأعظم قسط فى المواصلات البحرية بين مصر وثغور البحر الأبيض المتوسط ، شرقه وغربه وشماله ، وكيف كان إلى جانب أساطيل البنادقة والجنويين يأخذ بقسط وافر فى تجارة الهند فى تلك العصور

***

عرضنا هذه الخلاصة التاريخية ليرى القارىء كيف كانت مصر فى عصور استقلالها دولة بحرية عظيمة ، وكيف كان الأسطول المصرى فى تلك العصور عاملا من عوامل التوازن والاستقرار فى شرق البحر الأبيض المتوسط .

والآن وقد استأنفت مصر حياتها الحرة المستقلة بعد فترة من المحن غلت فيها إرادتها وحرياتها ؛ الآن وقد عادت تحمل على كاهلها أعباء الاستقلال وتكاليفه ، وتعد أسباب الدفاع عن هذا الاستقلال ، وتعيد تنظيم جيشها الباسل ليتبوأ مكانته التاريخية القديمة بين الجيوش الحديثة ، فانه يلوح لنا أن حديث الأسطول المصري مما يناسب المقام والظروف .

وإذا كان من حسن الطالع أن تكون مصر صديقة وحليفة لبريطانيا العظمى أعظم الدول البحرية ؛ وإذا كانت مصر تستطيع إلى حين أن تعتمد على معاونة حليفتها العظيمة فى رد اعتداء المعتدين عليها وخصوصاً من البحر ؛ وإذا كانت بريطانيا العظمى ترى من مصلحتها الحيوية أن تعاون بأقصى ما تستطيع فى سلامة مصر من كل اعتداء خارجى ، فإن ذلك كله لا يمنع مصر من أن تفكر فى المستقبل وأن تتطلع إلى اليوم الذى تستطيع فيه أن تنظم لنفسها نوعاً من الدفاع البحرى إلى جانب الدفاع البرى والدفاع الجوى .

ونقول نوعاً من الدفاع البحري لأننا لا نطمع أن تغدو مصر دولة بحرية فى المستقبل القريب ؛ وإنما نطمع فى أن يكون لمصر فى الفرصة الملائمة قوة بحرية دفاعية تؤيد سيادتها فى المياه المصرية وتقوم بقسطها من الدفاع عند الطوارىء والمفاجآت ، وتكون نواة لأسطول مصر المستقبل . ذلك أن مصر باعتبارها دولة بحرية من دول البحر الأبيض لا تستطيع أن تغضى عن هذه الحقيقة إلى الأبد ، ولا مندوحة لها من أن تساير تطور الحوادث والظروف

ولمصر أسوة بدول أخرى من دول البحر الأبيض ليست أكبر منها ولا أعظم موارد ، مثل اليونان وتركيا ؛ فكلتاهما تملك قوة بحرية متواضعة ، ولكنها فى نفس الوقت تكفى لأغراض الدفاع المحلية ، وكلتاهما تعتبر من الدول البحرية فى هذه المياه

إن عصرنا الحاضر عصر التسليحات والأهبات الدفاعية ؛ والبحر الأبيض المتوسط ليس مكفول السكينة ، بل يخشى أن يكون فى المستقبل القريب مسرحا لمنافسات وخصومات ربما أصاب مصر رشاشها ؛ ومن بواعث الأسف أن تكون حقوق الأمم اليوم عرضة للانكار والانتقاص من جانب بعض الأمم التى تعتد بقوتها ؛ ففى مثل هذه الفترات المضطربة من الحياة الدولية التى يسود فيها قانون القوة ، ترتجف الأمم الضعيفة إشفاقاً على مصايرها ، وتستمد من بعض المحالفات القوية ما تعتمد عليه لدرء الخطر ، ولكن ذلك لا يعفيها من واجب الأهبة والاستعداد قدر استطاعتها ؛ وإذا كانت مصر لظروف خاصة قد تخلفت فى هذا المضمار عن غيرها من الأمم ، فان عليها أن تستكمل اليوم ما فاتها بالأمس ، لكى تستطيع مسايرة الحوادث والظروف ، ولكى تثبت قبل كل شىء أنها تحرص على استقلالها الذي نالته بعد طول كفاح

وهذه هى تكاليف الاستقلال الفادحة ؛ فان استقلال الأمم لا تكفله الحقوق الدولية إذا لم تدعمه أهبة الدفاع ؛ ومصر اليوم تبدأ فى هذا الميدان حياة جديدة ، وتعنى بتنظيم دفاعها يحفزها إلى هذا الواجب المقدس تاريخ جيشها المجيد ؛ ولكن مصر أيضا دولة بحرية ، وقد كان لها أسطول مجيد كما كان لها جيش مجيد . فلتذكر إذن تاريخ هذا الأسطول الذى بسطنا خلاصته فى هذا الفصل ؛ وإذا كانت ظروفها الحاضرة لا تفسح لها مجالا للعمل السريع فى هذا الميدان ، فان المستقبل القريب قد يمهد لها سبيل التفكير ، وقد يمدها أيضا بالوسائل والموارد التى تعاونها على تحقيق هذا المشروع الحيوى الجليل .

محمد عبد الله عنان

عـــالم !

للأستاذ علي الطنطاوي

« مهداة إلى روح المرحوم أستاذنا الرافعي »

حدثني بعض مشايخي عمّن رأى بعينه وسمع بأذنه . قال :

وقعت الصيحة في « حيّ الميـدان » أجل أحياء دمشق وأكبرها ، صبيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ ، بأن إبراهيم باشا ، قادم لزيارة عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي [١] في مسجده . وابراهيم باشا من قد علمت في بطشـه وجبروته ، ومن يده إلى السيف أسرع من لسانه إلى القول وعينه إلى النظر . . . ومن كان جبار سورية وفاتحها وسيدها ؛ فطار الفزع بألباب الميدانيين ، وهم فرسان دمشق وحماتها ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، ماذا يصنعون ؟ إنهم يعلمون أن الشيخ لايقيم وزناً لأحد من أبناء الدنيا ، فلا يبجل سلطاناً لسلطانه ، ولا يوقر غنياً لغناه ، ولا يقيس الناس بما على جسومهم من ثياب ، ولا بما في صناديقهم من مال ، ولا بما يبتزون من أموال الدولة [٢] ، ولـكن يقيسهم بما في نفوسهم من فضائل ، وما في قلوبهم من إيمان ، وما في رؤوسهم من علم ؛ وإذا نظر الناس من خارج فرأوا الطبـل سميناً عظيماً ، نظر هو من داخل فرآه خالياً حقيراً . . .

وكانوا يخشون أن يسوء ذلك من شأنه الباشا ، ويودّون لو رجوا الباشا ، ولـكن كيف يصلون إليه وهو في قصره ، حوله الحجاب والأعوان ، والجند بالسلاح ، ومن حوله الموت ألواناً وأشكالاً ، يحمي حماه ، ويحرس أبوابه . . . ويتمنون لو رَجَـوا الشيخ ،ولـكنّ الشيخ أعزّ من مائة ملك جبار ، تحميه هيبته، ويحرسه تقواه وتحف به الملائـكة واضعة له أجنحتها ... [٣]

ولم يكونوا يخافون أن ينال الشيخ بسوء ؛ فهذا شيء تُحيله عقولهم لـما استقر فيها من إجلال الشيخ وإكباره . ولا تراه أبصارهم ، لأنهم يقضون عن آخرهم قبل أن تراه أبصارهم ، ولـكنهم كانوا يخشون الشيخ على الباشا ، ويخشون الباشا على نفوسهم .

* * *

ومضوا يقيمون معالم الزينة ، ويبنون أقواس النصر ويرفعون الرايات على طريق البطل الفاتح . ويقطفون أزهى أزهار الغوطة لينثروها عليه . . . فما كان الأصيل حتى تم كل شيء . وأقبل الباشا في الموكب الفخم ، والجند والسلاح والدّبدَبَة . . . حتى انتهى إلى باب المسجد وكان باباً صغيراً . فاعترض الباشا كأنه يقول له : إرجع أو أرجع دنياك ، إنك تدخل بيت الله بشراً خاضعاً ، أما أن تكون تزوير إآـه . . .بألف عبد ، وألف ثوب فلا ! إنه لا يجتمع ميراث النبوة التي جاءت بالتوحيد والمساواة ، يبقايا الجاهلية التي قامت على الشرك والتميز بين الناس إلا محى أحدهما . . . فانظر هل محا باطل حقاً ؟

قال الراوي : وتردد الباشا هنيهة يفكر . ثم أبعد أعوانه وترجل ودخل المسجد منفرداً ، وكان الشيخ جالساً على حصير قد وضعت فوقه حشية ، وكان مادّاً رجله فسمعته يقول :

. . . والمرء إذا خاف الله ، وصدق في مخافته . خافه كل شيء ، لأنه لا يرى كبيراً إلا صغره عنده أن الله أكبر . . . الله أكبر . إن لهذه سراً إلـهياً ، ولـكن المسلمين استعجموا فهم لا يرددون منها إلا حروفها فارغة من المعنى ، وما فرض الله على المسلم أن يقولها كل يوم (٨٥) مرة أقل ما يقولها [١] ويسمعها من المنارة ثلاثين مرة . . . [٢] إلا ليعلم أنه لا كبير في الدنيا وأن من كان مع الله لم يبال شيئاً : لا الملك ولا المرض ولا الوحش ، فلو أن المسلم عرف معنى هذه الكلمة وهو يقولها ما عرف الذل ولا الجبن ولا الـكسل .

قال رجل من طرف الحلقة :

---

(١) كان عالم الشام قبل طبقة الشيخ محمود الحمزاوى والشيخ محمد الطنطاوى والشيخ بكر العطار وأصحابهم .

(٢) يعني الرواتب .

(٣) جاء في الأثر : إن الملائـكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع .

(١) إن صلى الصلوات المفروضة (١٠٧) ركعة كل يوم ، وذلك مالا يكون المسلم مسلماً إلا به .

(٢) في كل أذان ست مرات .

فإن قتله الملك يا سيدى الشيخ ، أو أماته المرض ؟

فقال الشيخ : سبحان الله ! وهل يهاب المسلم القتل ؟ أو يبغض الموت ؟ إن الموت شديد لأنه انقطاع اللذات ، وخسران الدنيا ، ولكنه لا يكون بهذا المعنى إلا عند الكافر الذى يعيش فى الدنيا ، ويستمتع بملاذها ؛ أما من كان يتهيأ فيها للعيشة الخالدة ويقيم فيها كالمستعد للسفر ، ويرقب ساعته كما يرقب المسافر ساعة القطار ، ويراه حين يمضى ليلقى ربه ، كالآيب إلى وطنه حين يذهب ليلقى أهله وصحبه ... من كان هذا شأنه لا يرى فى الموت موتا ، وإنما يرى فيه ولادة جديدة ، وابتداء حياة ، وقد جاء في الحديث : إن أفضل الشهداء رجل يقول كلمة حق عند إمام جائر فيقتله بها ...

وكان الباشا قد وقف على الحلقة متنفّجاً ، مصعراً خدّه ، شامخاً بأنفه ، فنظر إليه الشيخ رحمه الله فلم يتغيّر ولم يبد عليه أنه رأى فيه أكثر من رجل ، وأشار إليه أن اجلس كما كان يفعل بغيره ، فلم يتمالك الباشا أن جلس ... ونظر في الحاضرين يقلب فيهم بصره ، يفتش عن شئ أضاعه فيهم ، عن الخضوع والإكبار اللذين تعوّد أن يراهما حوله دائماً ، ينتظر أن يقوموا له ، وأن يقفوا بين يديه صفاً ، ولم يدر أن القوم كانوا في غير هذا ، لم يدر أن الشيخ قد علا بهم ، حتى جعلهم يطلون على الدنيا من شرفة طيارة ، أو من قطع السحاب ، فيرون الأرض كلها كمفحص قطاة ، ولا يرون فى الباشا العظيم إلا نملة .. فمن الذى يحفل بنملة ...

وأجال الباشا نظره فيهم حتى علق برجل الشيخ ، وكانت ممدودة نحوه . فأثار مرآها كبرياءه وسلطانه ، ورأى فيها علامة تعجب أضيفت إلى عظمته وجلاله ، إضافة سخرية وتهكم ؛ ورآها كبيرة في عينه ، فأحس كأنما هى في عينه ، ونظر في الحاضرين ألم يجرد واحد منهم سيفه يتقرب إلى الباشا بقطّها .. ؟ وكان الباشا ينظر بعين بصره المادية ، لم تفتح بعدُ عين بصيرته المعنوية فيفاضل بين قصره وسريره ، ومكان الشيخ وحصيره ، وبين جنده وأعوانه ، وتلاميذ الشيخ وإخوانه ، فيوقن أن دنيا الشيخ كلها لا تثبت لحظة لسيفه الذى لم تثبت له دنيا الخليفة العثمانى (امبراطور الشرق) ... وكان كالأسد الذى زعموا أنه مر على قنبلة من القنابل المدمرة ... ملقاة في أجمته ، فعجب منها وحقرها وقال : ويحك أى حيوان أنت ؟ يا للضعف والمهانة ! أين الأنياب ؟ أين المخالب ؟ أين .. أين .. يا للهوان ! ما ذا يصنع بأهله . قالوا : ثم ركلها برجله ، فانفجرت القنبلة ! وانفجرت القنبلة من فم الشيخ فرجع يتكلم

***

قال :

ومن عجيب صنع الله فى الانسان أن خلقه حيوانا كالحيوان ، ولكنه وضع فيه ملكا ووضع فيه شيطاناً ، فمن كان همّه من دنياه لذتا بطنه وفرجه ، وابتغاهما من حل ولم يعرف غيرهما لم يكن فيه إلا الحيوان ، فهو يرتع كما يرتع الحمار ، ويتبع غريزته كما يتبع ؛ ومن كان همه اللذة من حل وحرمة ، ومن كان لا يبالى ما اجترح من السيئات ، لم يكن فيه إلا الشيطان ، وكان العقرب والخنفساء خيراً منه ، لأن مصيرهما إلى التراب ومصيره إلى النار . ومن كان همه أن يعيش فى هذه الحياة كما يعيش فى مدرسة يتلقى فيها أساليب الكمال ، ليعيش من بعدُ فى أساليب الكمال ، فهو الانسان حقاً . .

ومن عجيب صنع الله فى الانسان ، أنه وضع فى نفسه الملك ، فلا يحتاج مهما كان ضالاً فاسقاً ظالماً إلا إلى تنبيه الملك فى نفسه ، ليطرد الشيطان ، ويقود الحيوان ، فلست أنت الذى يعظه ، ولكنه يعظ حينئذ نفسه ، وهذا معنى قولهم :

لا تنتهي الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وذلك ثوابه الجنة ، والجنة لا تكون بالتشهى والأمل ، ولكن بالجد والعمل . ولو أن تلميذاً أمضى عامه فى لعبه ولهوه ، ثم تمنى النجاح ، أكان ينجح ؟ ولو أن صياداً ألقى بندقيته فلم يضرب بها ورمى شبكة فلم ينصبها ، ثم حلم بالقنيصة أكانت أحلامه تعدو فى أثر الغزال حتى تأتى به مكتوفاً ؟ أم كانت السمكة تأتيه وحدها وعلى ظهرها الملح والفلفل تقول له : كلني ؟ . .

قال رجل : ولكن القلوب قست يا سيدى الشيخ ، فما علاجها ؟

قال : إن الشيطان لا يأتى إلا من إشعاره الكمال ، فأشعر نفسك النقص ، وذكرها في الصحة المرض ، وفى الحياة الموت . ولقد أدركنا من مشايخنا من إذا قسا قلبه امّ المستشفى أو قصد المقبرة ، نخوف نفسه المرض وذكرها الموت . والمؤمن لا يزال بخير ما زال بين الخوف والرجاء ، فإن لم يخف أو لم يرج فقد هوى ... ولقد سمعنا ان منهم من كان يدنى يده من المصباح ويقول : يا نفس إن لم تصبرى على هذا فكيف ويحك تصبرين على نار جهنم ؟ وإن المؤمن ما ثارت فى نفسه شهوة ، إلا أطفأها بأنهار الجنة ، أو أحرقها بنار جهنم ، فاستراح منها . . .

وما الانسان لولا العقل ؟ وكيف يكون العقل إن لم يكن معه الايمان ؟ إنه لايكون إذن إلا كما قالوا : أوّله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة . . . وللسلطان سكرة ، فمن أسكره سلطانه وعزته على الناس ، فليذكر هوانه على الله ، وأن الله أهلك أشد الملوك : النمرود ، بأضعف الخلق : البعوض

فيامن أصله من التراب ، لاتنس أن نهايتك إلى التراب !

***

وكان الباشا يشعر ، والشيخ يتكلم ، كأنه كان محبوساً فى صندوق ، ثم فتح عينيه فنشق الهواء الطلق ، أو كأنه كان فى ظلمة قاتمة ، فطلع الشيخ عليه شمساً نيرة ، فتضاءل حتى جلس على ركبتيه ، ورأى نفسه دون هؤلاء كلهم ، لأنهم ألصق منه بالشيخ وأدنى إليه ، ولم يعد يزعجه مرأى الشيخ وهو ماد رجله... بل كان يراه الغريق ويراها خشبة النجاة ، وكان يبصرها عالية كجناح النسر المحلق ، ثم لم يعد يري فيها شيئاً ،لقد استحال الشيخ فى نظره إلى فكرة ... لم يعد يري فيه إلا الحقيقة تمثلت إنساناً

***

قال الراوى : فلما ذهب الباشا ، بعث إلى الشيخ بكيس فيه الف دينار من الذهب العين ، فلما جاءه به الرسول وألقاه بين يديه تبسم الشيخ رحمه الله ورده إليه ، وقال له : سلم على سيدك وقل له : إن من يمد رجله لا يمد يده . . . . .

البصرة — **على الطنطاوى**

من أدب القوة

مثـــال ..!

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

ثارت نفسه ثورة صارمة جامحة لِتَحَيُّف الغاصبين وطنه وتمزيقه شر ممزق ؛ فصرخ الدم فى عروقه ، ولصرخة الدم دوى يسمعه الأحرار فتصيبهم جِنَّة تخرجهم من ديارهم إلى القبور... وتحرّك الايمان فى قلبه ، ولحركة الإيمان زلزلة تتحطم بها كل الشهوات ويستيقظ لها المؤمنون يقظة تخرجهم من قبور الغفلة إلى حومة الجهاد ... وأقبل الملك والشيطان يصطرعان على فكره وهو بينهما كما تكون كُدْسَةُ الحَبّ بين شِقّى الرحى . . . يدعوه الأول إلى خطة الأقل والأكثر فيها الفِداء فى الدار التى عريت من الخلود وازينت بالشر ، ويقول له : إنك ما كنت لتحيا هنا ، وإنما الحياة هناك . . . فاذبح مالك لحريتك ، واذبح شهوة الدعة فى الزلة لكرامة العزة ، واخرج من كل شيء لله الذى أعطاك كل شيء ...

إيتِـه جسداً عارياً من الحلى والزينة ، فإنها سلاسل تربطك بالأرض . . . وائتِـه نفساً عارية من كَلَبِ شهوةِ البقاء . . . وائته عقلا عاريا من صور البنين والملوك والذهب والفضة والمنصب ... فإن كل أولئك أقذاء وحجب تغشى العين فلا تبصر ذلك اللفظ الصارم الذى لا يرحم ، العابس الذى لا يبتسم : الواجب !

إيتِـه عبداً مملوكا طائعا ولك الكرامة قبل أن تؤخذ آبقاً كارها وعليك كلمة السوء ...

ويدعوه الثانى إلى خطة الأقل فيها السلامة . . . والأكثر فيها العيش الموفور المُعَطَّرُ المُدَثَّرُ المفضض ... ويقول له : مالك مجنوناً بالفناء وقد خلقت للبقاء ؟ ! الناس قطعان حيوان ليس فيهم حرمة ولا لهم واجب فلماذا تموت ليحيوا . . ؟ أتموت أنت الشابَّ الفُرانِقَ المُقْبِـل ليحيا العجائز والشيوخ المدبرون . . ؟ لماذا تحمل وطنك بكل ما فيه على قلبك ؟ ألقِـه عنك يتحطم وعش على أنقاضه . . . دع أوهام الأديان وأحلام الفلاسفة والشعراء . . . أنت « لا تأتى إلى دنياك هذي مرتين ؟

فلا تقف فى وجه لذاتك مكتوف اليدين . ! » ولماذا تقدم نفسك للمذبح ويتأخر فلان وفلان ؟ إنتظر حتى يتقدموا ... أتموت ليبقى الزعماء فلان وفلان وفلان يتمتعون بالمجد والنعمة والحمل على الأعناق . ؟ أتخشى حساب الله على تخلفك عن الجهاد ؟ ومن أنت حتى يحاسبك الله العظيم ؟ ! على أن فى الحياة كفارة ...

فيقف فى غمرة من الحيرة بين وحى الملك ونزغ الشيطان ، ولكن صراخ الدم وزلزلة الإيمان مضافاً إليهما حديث الملك مضافاً إليها حكم العقل بأن الحياة الدنيا ما دامت تنتهى فالأولى أن تنتهي بشرف ... وما دامت اللذات والمناعم ، بنت ساعتها ، لا تحيا فى النفس إلا ريثما تحيا فى الحس . وليس لهـا نصيب من حياة الذكرى الخالدة فالأولى أن تُـفْـطمَ النفس عنها وبخاصة إذا دعا داعى الواجب وقالت قوانين الحياة الشريفة : ياإنسان ، النجدة !

كان «موظفاً» في الحكومة ، والوظيفة رخصة تبيح لصاحبها عند نفسه وعند بعض الناس أن يغضى على كل لعنة تصيب دينه ووطنه . . ! وأن يكفر بالله ويعبد الرغيف . . . وليس الرغيف الضرورى فحسب بل الرغيف المرصع بكل لذات الفم له ولأبنائه وذرياتهم إلى يوم القيامة .. ! حتي لا يستهدف بزعمه للعنائهم ... وأن يقيم حول ذلك الرغيف سورا وقلاعا من العمارات والضياع تحفظه ممن يتعقبونه ...

ياما أعجب أنانية الانسان ! إنه لا يدرك من حقه إلا ما امتلكه من التافه والحقير ... أما حقه الكبير الذى به سر حياته فلا يدركه ولا يغار عليه ولا يألم لوخز قلبه في عقيدته كما يألم لشوكة تخز خلية من خلايا جسده الترابى . . ! ولا يثور لحق وطنه المسلوب كما يثور لمتاع سرق أو حمار نَـفَـقَ . . !

ولكن صاحبنا كان من الذين يضعون دائماً قلوبهم على أكُفّهم يعلنونها مستبرئة ظاهرة ليخيفوا بمرآها من ليست لهم قلوب . . . أو من كانت قلوبهم هواء ، أو ليجعلوها دائماً تحت التأثير المباشر للحوادث ، تقرعها الحادثة فتجد صداها مردداً فى صدق وبعدٍ عن الرياء والتدليس ، أو ليستفتوها إذا نزل أمر عاجل يتعجل الفتوى من إلهام الطبيعة وميزان الفطرة . لذلك ما كانت قيود الوظيفة ضمامة على سمعه تمنعه من سماع نداء الواجب ، ولا كمامة على فيه تمنعه من كلمة الحق . . . فلم يكن يدلس على نفسه بتأويل الحوادث ودفعها إلى غير وجهها وتحميلها غير ما يتقاضاه منطقها ، وخاصة إذا كان مدار الحوادث دينه أو وطنه ، فحينذاك يضع قلبه فى كفة ميزان والوظيفة بما وراءها من جاه ومال ودعة فى كفة ، ويختار الذى هو راجح وخير ، وهو الأول دائماً !

فلما أن طار الحريق فى جو وطنه من أنفاس الأحرار حسرة على ما أصاب بلادهم وحريتها كتب يقول :

« أيها الحاكمون ! »

أنا عامل فى حكومتكم ، ولكنى ما بعتكم حريتى لأنى لا أملكها ؛ فإنها ألطف وأدق من أن تملك ؛ إذ هي فى الحصن المغلق على سر الإنسان : فى القلب ...

لذلك أعلنكم أن هذا الجانب الخفي الرفيع منى قد أعلن الثورة عليكم ، وترك لكم هذا الجسد مِـلْكَ يمينكم ، فإن شئتم أخذتموه بها فقطعتم منه الوتين .. وتلك غاية مكنتكم . . وإن شئتم تركتموه سلاحاً تقاتلكم به حريتى التي تحكمنى من داخلى . . وتلك غايتها وغايتى !

أما أن أهادنكم على الدَّنيَّـة فى دينى والخائنة فى وطنى فذلك ما ليس إليه طاقة حر . .

المال الذى آخذه منكم إنما هو لتحقيق كرامتى بين الناس ؛ فإذا لم أجد لأمتى كرامة فما كرامتى أنا ؟ ! إذاً فهو الآن عندى كعلف الدابة التى تركب . . ولن أكُونها !

والجاه الذى أتمتع به فى حكومتكم الدخيلة الغاصبة ، إنما هو جاه العبد . . لن يرتفع به إلى أن يكون سيداً مهما كان قربه من سيده ؛ لأن السيادة ليست له فى نفسه ، ولا فى اعتبار الناس ، ولا فى اعتباركم أنتم ، فهو جاه مثلث التزييف ، وأنا آباه !

ودولاب الأعمال فى حكومتكم يدور بحرية وإخلاص منكم ليفنى الحرية والاخلاص منا ؛ فاشتراكى معكم جريمة لا يغتفرها قلب الوطن ولا حساب الله .. فلن أصبر بعد اليوم على ما أرى من قبيح فعلكم بأمتى ونقضكم المواثيق التي واثقتم بها أنفسكم وتمزيق وطني ذلك التمزيق الذى سيفنيه لو بلغتم مرادكم فيه ، وما أنتم ببالغيه »

وبهذا انطلق من وظيفته كما ينطلق الطير من قفص فيه حَبٌّ وماء ، ونشيده : الجوَّ الجوَّ ! ولم يَأْسَ على الحب والماء لأنهما ليسا الشيْء الهامَّ فى سعادة قلبه . . .

ثم سار يجاهد ويضرب في الأرض ، لا يملك غير وجهه جاهاً ، وغيرَ يديه ثروةً ، وغير قلبه خزانة .

عبد المنعم محمد خلاف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣ —

الرافعي في الوظيفة

في أبريل سنة ١٨٩٩ عُيِّنَ الرافعي كاتباً بمحكمة طلخا الشرعية ، بمرتب شهري أربعة جنيهات ، وأعانه على الظفر بهذه الوظيفة ما كان لأبيه وأسرته من جاه في المحاكم الشرعية ؛ وما كان الرافعي ليجهل جاه أبيه وأسرته في هذه المحاكم ، وما كان منكوراً لديه أن لهم يداً على كل قاض في القضاء الشرعي ؛ فنشأ بذلك نشأة الدلال في وظيفته ، لا يراها إلا ضريبة على الحكومة تؤديها إليه عَمِل أو لم يعمل ، لمكانة أسرته من النفوذ والرأي ، ولمكانته هو أيضاً . . . ألم يكن يرشح نفسه ليكون أديب هذه الأمة ؟ هكذا كان يرى نفسه من أول يوم ، وظل كذلك يرى نفسه لآخر يوم . . .

وكانت إقامته بطنطا في هذه الحقبة ؛ فمنها مغداه وإليها مراحه في كل يوم ، يتأبط حقيبة فيها غداؤه وفيها كتابه ، وما كان أحد ليستطيع أن يلفته إلى ضرورة التبكير إن جاء في الضحى ، أو يسأله الانتظار إذا دنا ميعاد القطار ولم يفرغ من عمله .

لم يكن يرى الوظيفة إلا شيئاً يعينه على العيش ، ليفرغ إلى نفسه ويُعِدّها لما تهيأت له ، فما انقطع عن المطالعة والدرس يوماً واحداً ، وما كان أكثر ما كان ينقطع عن وظيفته .

وقضى الرافعي في طلخا زمناً ما ، ثم نقل إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية ، ثم إلى طنطا ؛ وفي طنطا انتقل من المحكمة الشرعية إلى المحكمة الأهلية بعد سنين ، لأنه رأى المجال في المحاكم الأهلية أوسع وأرحب ، والعملَ فيها أيسر جهداً وأكثر مالاً وأملاً ؛ وظل في محكمة طنطا الأهلية إلى يومه الأخير .

وحياة الرافعي في طلخا وإيتاي البارود وطنطا لا تخلو من طرائف ، وتاريخه في الوظيفة حافل بالصور والمشاهد التي كان لها أثرها من بعد في حياته الأدبية ؛ ففي طلخا عرف الكاظمي شاعر العراق الكبير واتصل به وانعقدت بينهما أواصر الود على ما سيأتي تفصيله ؛ وفي إيتاي البارود تفتحت زهرة شبابه للحب وتعطشت نفسه إلى لذاته ، وعلى (جسر كفر الزيات) فيما بين إيتاي البارود وطنطا مسته شعلة الحب المقدسة فكشفت عن عينيه الغطاء ليرى ويحس ويشعر ويكون (شاعر الحسن) من بعد ؛ وفي طنطا كان نضجه وتمامه وإيناع ثمره .

وما أستطيع أن أصف بتفصيل واضح كيف كان يعيش الرافعي في تلك الأيام البعيدة ، ولا كيف كانت صلته بالناس ، ولا كيف تفاعلت حوادث أيامه باحساسات الشباب التي كانت تجيش بها نفسه الثائرة ؛ ولكني أعرف شيئاً واحداً هو كل ما يهمني إثباته في هذا البحث ، هو أن روحاً رفافة كانت تطيف به في تلك الأيام فتنتزعه من وجوده الذي يعيش فيه لتحلق به في أجواء بعيدة وتكشف له عن آفاق مجهولة لم يسمع بها ولم يعرفها فتوحي إليه الشعور بالقلق وألم الحرمان والاحساس بالوحدة ، فلا يجد متنفساً ينفس به عن نفسه غير الشعر ، وكان ذلك أول أمره في الأدب وإليه كان آخر ما يمتد أمله ، فما كانت له أمنية إلا أن يكون شاعراً ، شاعراً وحسب .

***

لم يتعلم الرافعي الحب مما يسمع في مجالس الشبان ، كما يتعلم أبناء هذا الجيل من أكاذيب المنى التي يتداولونها في مجالسهم فيتعلمون الحبَّ منها فنًّا له قواعد مرسومة وغاية محتومة . . . لكنه استمع إلى وحي الحب أول ما استمع في همسات روحه ، وخلجات وجدانه ، وخفقات قلبه ، وانفعال أعصابه ؛ إلى ما كان للحب في نفسه من صورة مشرقة شائقة مما قرأ من أخبار العذريين من شباب العرب ؛ فأحس كأن شيئاً ينقصه ، فراح يفتقده وشعر كأن إنسانة من وراء الغيب تناديه وتهتف باسمه في خلوة نفسه وجلوة خاطره تقول : ها أنا ذي . . . فهام بالحسن ينشده شعره وينشد فيه مثاله الذي يدور عليه ، وطار على وجهه كالفراشة الحائمة تقول لكل زهرة : أأنت التي ... فلا يستمع إلى جواب وإن الصوت البعيد لدائب يهتف في أذنيه : إنني هنا ، إنني هنا ياحبيبي فاقصد إلي . . .

لم يكن يحب إنسانة بعينها يناديها باسمها ويعرفها بصفتها ، بل كانت محبوبته شيئاً في نفسه وصورةً من صنع أحلامه ، يرى في كل وجه فاتن لمحةً من جمالها ، وفي كل طلعة مشرقة بريقاً من فتنتها ، وفي كل نظرة أو ابتسامة معنى من معاني الحبيبة الناعمة في قلبه وفي أمانيه . . . فمضى يتنقّل من زهرة إلى زهرة ، عفيف النظر والشفة واللسان ، حتى انتهى أمره إلى أمر . . .

لم ينس الرافعي إلى آخر يوم من حياته ما كان من شأنه وشأن قلبه في صدر حياته ، فكان دائم الحديث عن هذا العهد كلما رفّت به سانحةٌ من سوانح الماضي تذكره ما كان من أمره وما آل إليه أمره .

ليس قصدي الآن أن أتحدث عن الحب في تاريخ الرافعي ، فإن للحب في تاريخه فصلاً ضافي الذيول كثير الألوان متعدّد الصور له مكانة المفرد من هذا البحث في غير هذا الباب . ولكني أتحدث عن الرافعي في بكرة الشباب فما لي مندوحة عن الإلمام بما كان يصطرع في نفس الرافعي في بكرة الشباب .


شباب الرافعي

***

عاش الرافعي لفنه ولنفسه من أول يوم ، فما عاقته الوظيفة عن أن يكون كما أراد أن يكون ؛ على أنه كان إلى اهتمامه بفنه وعنايته بما يكمله ، وعلى أنه كان لا يرضى أن تتعبده قوانين الوظيفة وتقيده أغلالُ النظام الحكومي – كان إلى ذلك دقيقاً في عمله الرسمي دقة تبلغ الغاية . وكان إليه تقدير رسوم القضايا والعقود ونحوها مما يتصل بعمل المحكمة ؛ فكان كاتباً حاسباً لا يفوته شيء مما يسند إليه ، حتى آل أمره من بعد إلى أن يكون المرجع في هذا العمل لكتاب المحكمة جميعاً ، يستفتونه فيما أشكل عليهم من الأمر في تقدير الرسوم ؛ ثم لكثير من كتاب المحاكم في مختلف البلاد ، ثم لوزارة الحقانية نفسها وهي المرجع الأخير ، تكتب إليه في زاوية مكتبة من محكمة طنطا تسأله الرأي في حسبة أو إشكال أو شيء مما يتصل بذلك ، فيكتب إليها بالرأي لتبلغه في منشور عام إلى كل المحاكم الأهلية .

وكان عليه العبء من هذه الناحية في محكمة طنطا ، وقد طلب أكثر من مرة أن يحال إلى المعاش ليتفرغ لفنه ، فما كان يمنعه من المضي في طلبه إلا ذعر سائر موظفي المحكمة وإلحاحهم عليه أن يبقى لئلا يخلو موضعه .

وكان في صلته بموظفي المحكمة الذين يشركونه في عمله نبيلاً كريم الخلق إلى حد بعيد ، فكان يتطوع ليحمل عنهم تبعة كل خطأ يقع فيه واحد منهم مهما كان مدى الخطأ ونتيجته ؛ وقد رأيته مرة في صيف سنة ١٩٣٤ وقد لزمه مفتش من مفتشي الحقانية ثلاثة أشهر أو أكثر ، يستجوبه عن خطأ في تقدير الرسوم لأكثر من مائة وعشرين قضية ، بلغ النقص في الرسوم المتحصلة عنها بضعة وتسعين جنيهاً ؛ والرافعي يرد المفتش ويدافعه ويرى له الرأي ويصف له العلاج ، والمفتش دائب على الحضور كل يوم يبحث ويفتش ويستقصي وما ضاقت به أخلاق الرافعي ؛ على حين لم يكن على الرافعي في هذه القضايا المائة والعشرين خطأ واحد ، وما كانت إلا من أخطاء زملائه في المكتب حمل عنهم تبعتها حتى لا يتعرضوا لشرٍّ هو أقدر منهم على الخلاص منه .

وكان من اعتداده بنفسه وحفاظه على كرامته بحيث لا يسمح لرئيس مهما علا منصبه وارتفع مكانه أن يجحد منزلته أو ينال منه أيَّ نيل ؛ وكان يفرط في ذلك إفراطاً يدعو إلى الشك أحياناً في تواضع الرافعي وكرم خلقه وحسن تصرفه .

من ذلك أنه لما كان هذا المفتش يؤدي عمله في المحكمة – وكان عمله التحقيق مع الرافعي – كان الرافعي يُلزم المفتش أحياناً أن يحضر هو إلى مكتب الرافعي في حجرته الخاصة بالموظفين ليسأله وهو جالس إلى مكتبه والمفتش على كرسيه إلى الطرف

الثانى من المكتب . وكنت إحدى هذه المرات جالساً إلى جانب الرافعى – وكان يستدنيني ويشركنى فى عمله حين أذهب لزيارته فى الديوان – فلما جاء المفتش هممت بالانصراف ، فشد الرافعى ذراعى بعنف وهو يقول : « إجلس يا أخى . . . » ووجه إليه المفتش سؤالاً ، فالتفت الرافعى إلىَّ قائلا : « فَهِّمه من فضلك يا شيخ سعيد أحْسن مُش قادر أفَهِّمه . . . (١) » ثم التفت إلى المفتش قائلاً وهو يشير إلىّ : « حضرته مدرس ، يقدر يخلّيك تفهم . . . ! »

لم يكن اعتداد الرافعى بنفسه يبلغ به إلى مثل هذا الشذوذ فى كل أحواله ، وإنما كان كذلك مع هذا المفتش بخاصته ، لأنه كان يعتقد أنه يرمى إلى إحراجه والتضييق عليه لقضايا مدنية كانت بين الرافعي وبين أصهار هذا المفتش ولم يقبل فيها الرافعى شفاعته .

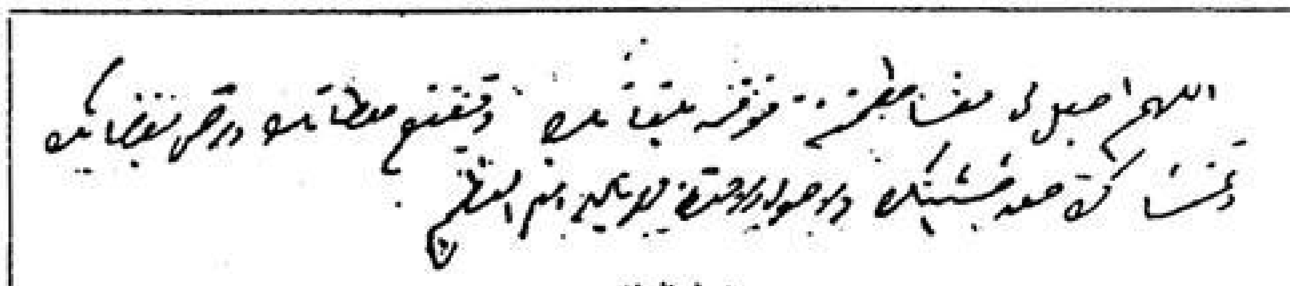
وكان من تقاليد المحكمة كلما نقل إليها قاض أو نائب جديد ، أن يهرع إلى مكتبه موظفو المحكمة يهنئونه ويتمنون له ؛ فما أكثر ما كان يتخلف الرافعى عن وفد الموظفين ، ويظل وحده فى مكتبه ؛ فإذا فرغ القاضى أو النائب من استقبالهم ، مضى هو إلى مكتب الرافعى فى حجرته ، فينهض الرافعى لاستقباله ، فيقفان لحظة يتبادلان الشكر والتهنئة على هذا الاتفاق الذي هيأ لهما هذا التعارف . . . ثم يذهب إليه الرافعى بعد ذلك في مكتبه ليشكر له ويكرر التهنئة .

حتى مدير المديرية – ومحكمة طنطا هى جزء من ديوان المديرية – لم تكن صلته بالرافعى صلة المدير الحاكم بموظف صغير فكانت بينه وبين أكثرهم صلات من الود والصداقة فوق ما يعرف من الصلات بين الموظفين ؛ ولكن منهم رجلا واحداً كان أقرب قرابة إلى الرافعى من أهله ومن خاصته ومن . . ومن تلامذته هو صاحب السعادة محمد محب باشا أقدر مدير عرفته مديرية الغربية منذ كانت مديرية ؛ وكان للصلة بين الرافعى ومحب باشا أثر كبير فى أدبه سنتحدث عنه فيما بعد

* * *

لم يكن للرافعى ميعاد محدود يذهب فيه إلى مكتبه أو يغادره ، فأحياناً كان يذهب فى التاسعة أو فى العاشرة ، أو فيما بين ذلك ، فلا يجلس إلى مكتبه إلا ريثما يتم ما أمامه من عمل على الوجه الذي يرضيه ، ثم يخرج فيدور على حاجته ، فيجلس فى هذا المتجر وقتاً ما ، وعند هذا الصديق وقتاً آخر ، ثم يعود إلى مكتبه قبيل ميعاد الانصراف لينظر فيما اجتمع عليه من العمل فى غيبته ، وقد لا يعود ...

وكان هذا منه يغضب زملاءه فى العمل ، فكانوا ينفسون عليه ويأكلون لحمه ، ويبلغه عنهم ما يتحدثون به فيهز كتفيه ويسكت ، ثم لا يمنعه ذلك من بعد أن يأخذ بيدهم عند الأزمة ؛ وكان كتبة المحامين وأصحاب المصالح فى المحكمة يسمونه بذلك عمدة المحكمة . . . !



خط الرافعى

وحدث مرة أن جاء إلى محكمة طنطا رئيس شديد الحول ، فلما صعد إليه موظفو المحكمة للتهنئة ، لم يجد بينهم الرافعي ، فلما سأل عنه تحدث الموظفون فى شأنه ما تحدثوا ؛ فاستاء الرئيس وأرسل يدعوه إليه ، فلم يجده الرسول فى مكتبه ، فغضب الرئيس وثارت ثائرته ، وأمر باستجوابه عن الاستهانة بنظام المحكمة ومواعيد العمل الرسمى ؛ وجاء الرافعى فبلغه ما كان ، فهز منكبه وجلس إلى مكتبه يمزح ويتحدث على عادته كأن لم يحدث شئ ؛ ورفع الرئيس كتابه إلى وزارة الحقانية ، يبلغها أن فى محكمة طنطا كاتباً أطرش ، لا يحسن التفاهم مع أصحاب المصالح على شدة اتصال عمله بمصالح الجمهور ، وهو مع ذلك كثير التهاون بنظام المحكمة ومواعيد العمل ولا يخضع للرأى ... وطلب الرئيس فى آخر كتابه إقالة الرافعى من الخدمة ...

وأرسلت وزارة الحقانية مفتشها لتحقيق هذه الشكوى ، وليرى رأيه فيما طلبته محكمة طنطا ؛ وكان المفتش المندوب لذلك

(١) آثرت فى هذا الخبر أن أرويه كما جرى باللغة العامية ، ليتأدى معناه إلى قارئه على وجهه . وكان الرافعي ينادى خاصته والمقربين إليه : « يا شيخ فلان ... » على اختلاف منازلهم وأعمالهم ولباسهم ؛ ولم يكن كل أحد يستأهل عنده هذا اللقب .

هو الشاعر اللبق الظريف المرحوم حفني ناصف بك . ولم تكن بين الرافعي وحفني ناصف صلة ما إلى هذا الوقت، إلا ذلك النسب البعيد الذي يجمع بينهما في أسرة أبولون ... وإلا ... وإلا تلك الكلمة القاسية التي كتبها الرافعي بأسلوبه اللاذع عن (شعراء العصر) سنة ١٩٠٥ ونشرها في مجلة الثريا وجعل فيها حفني ناصف ذيل الشعراء ...

وجاء حفني ناصف إلى الرافعي فحيا وجلس ، وبسط أوراقه ليحقق ... وقال الرافعي : قل لهم في الوزارة : إن كانت وظيفتي هنا للعمل ، فليؤاخذوني بالتقصير والخطأ فيما يُسند إليّ من عمل ؛ وإن كانت الوظيفة : تعال في الساعة الثامنة ، واجلس على الكرسي كأنك مشدود إليه بحبل — فلا عليَّ إن تمردت على هذا التعبد .. قل لهم في الوزارة : إنكم لا تملكون من الرافعي إلا هذين الإصبعين ساعات من النهار ... !

واستمع الأديب الشاعر إلى حجة الأديب الشاعر، ثم طوى أوراقه وحيا صاحبه ومضى ؛ فلما كان في خلوته ، كتب تقريره إلى وزارة الحقانية يقول :

إن الرافعي ليس من طبقة الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه القيود ... إن للرافعي حقاً على الأمة أن يعيش في أمن ودعة وحرية ... إن فيه قناعة ورضى ، وما كان هذا مكانه ولا موضعه لو لم يسكن إليه . دعوه يعيش كما يشتهي أن يعيش ، واتركوه يعمل ويفتنّ ويبدع لهذه الأمة في آدابها ما يشاء أن يبدع ، وإلا فاكفلوا له العيش الرخيّ في غير هذا المكان ..!

وبلغ التقرير وزارة الحقانيـة ، وانطوت القضية ، وصار تقليداً من تقاليد المحكمة من بعد أن يغدو الرافعي ويروح لاسلطان لأحد عليه ، وله الخيرة في أمره ؛ ولكنه مع ذلك لم يهمل في واجبه قط ، ولم ينس يوماً واحداً أنه في موضعه ذاك بحيث يرتبط به كثير من مصالح الجمهور .

قلت : إن الرافعي لم تكن بينه وبين حفني ناصف صلة ما . ولكن حفني تولى القضاء بعد ذلك مرة أو مرتين في محكمة طنطا فتقاربا وتوثقت بينهما أواصر الود ؛ وكانت طنطا في ذلك الوقت حلبة من حلبات الشعر والأدب ؛ فلا يمضي أسبوع حتى يقدم إليها أديب أو شاعر لزيارة الشاعرين : حفني والرافعي ، فيقوم للشعر سوق ومهرجان . وكان بين الرافعي وحفني من التقارب في الصفات ما يؤكد هذه الصلة ويوثق هذا الود ؛ فكلاهما شاعر ، وكلاهما من دعاة القديم ، وكلاهما أديب مرح يجيد الدعابة ويستجيد النكتة البكر ، وإن كانت فكاهة حفني أظهر وأبعث على الضحك وتكشف عن فراغ القلب ، وفكاهة الرافعي أعمق وأدل على قصد العبث والسخرية وامتلاء النفس . ولعل روح الفكاهة في الرافعي كان لها شأنها فيما كان بينه وبين المرحوم حافظ إبراهيم بك من صلة الود والاخاء .

حدثني الأستاذ الأديب جورج ابراهيم — صديق الرافعي وصفيُّه منذ حداثته — قال : لقد كانت الصلة بين الرافعي وحفني أكثر مما يكون بين الأصدقاء ، وكانا يتزاوران كثيراً ، أو يجتمعان في قهوة (اللوفر) بميدان الساعة ، وكنت أغشى مجلسهما أحياناً . . . فكنت أرى حفني يتواضع للرافعي ويتصاغر في مجلسه ، على مقدار مايتشامخ الرافعي ويتكبر ويدعي الأستاذية ، حتى ليرى له الرأى في القضايا التي لم يدرسها حفني بعد ، فلا يحكم فيها إلا بما حكم الرافعي !

* * *

ظل الرافعي في وظيفته تلك ، موزع الجهد بين أعماله الرسمية وأعماله الأدبية وما تقتضيه شئون الأب وشئون رب الدار ، على المورد المحدود والبساط الممدود . . . وما زاد مرتب الرافعي الشاعر الكاتب الأديب الذائع الصيت في الشرق والغرب ، الموظف الصغير في محكمة طنطا الكلية الأهلية ، على بضعة وعشرين جنيهاً في الدرجة السادسة ، بعد خدمة ثمان وثلاثين سنة في وظائف الحكومة . . .

على أن الرافعي كان له مرتب آخر من عمله في المحكمة ، هو ثمن ما كان يبيع من كُتبه للموظفين والمحامين وأصحاب القضايا الذين يقصدون إليه في مكتبه لعمل رسمي ؛ فما كان أحد منهم يستطيع أن يظفر برضا الرافعي فيقضي له حاجتـه ، حتى يبيعه كتاباً من كتبه . وكانت ضريبة فرضها الرافعي من طريق الحق الذي يدعيه كل شاعر على الناس !

ليت شعري أكان على الرافعي ملام أو معتبة أن يفعل ذلك . .؟ لنا الله أيها الأدباء في هذه الأمة التي لا تحفظ الجميل !

« لها بقية » (طنطا) محمد سعيد العريان

أدب الميوعة والدلال

للسيد ماجد الأتاسي

منذ أسابيع خلت نعى أستاذنا « الزيات » فى مقاله البليغ « أدب السندوتش » ، على أدباء هذا الجيل النابتين « جهلهم للغتهم ، وتقصيرهم فى تحصيل آدابها » .

ثم علق الأستاذ « المازنى » على هذا المقال ، وحدثنا عن شغفه بالكتب في أيام تحصيله الأولى ، وعن جلده على القراءة والدرس ، وقص علينا قصته مع كتبه يوم زواجه ، وكيف آثر الخلوة إلى هذه «الضرة» صباح يوم الجلوة على الجلوس والتحدث إلى زوجه العروس التى لاقت من «ضرتها» كل مايسوء ويضجر والتى نسأل الله لها الرحمة والرضوان ، وإلهامها أن تقابل ماتجد من اغتياب أستاذنا لها فى شتى المناسبات ، بالصفح والغفران ، وهى آمنة مطمئنة فى فسيح الجنان .

ثم تناول الأستاذ « أحمد أمين » هذا الموضوع بالبحث والدرس ، والتحليل والتعليل ، ووعدنا أن يعود إليه — كرة أخرى — ليصف لنا طرق العلاج ، وفنون الدواء من «صيدليته» ولعله يفعل .

وأخيراً عالج الأستاذ « العقاد » أدب « السندوتش » من — الوجهة العالمية — وأتى على عوامل شيوعه وتفشيه فى آداب الأمم الأخرى المعاصرة .

وهكذا تداول أساتذتنا الأئمة هذا الموضوع من أكثر من ناحية — بالبحث والدرس ، والتحليل والتعليل

وما كان لى — وأنا أحبو على عتبات الأدب حبو الأطفال وأحمل فى ميدانه أجسام الأقزام — أن يدفعنى مايلابس — عادةً — نفوس الشباب ، من الغرور والصلف والتهور والنزق ، إلى أن أزج بنفسى بين أرجل هؤلاء العمالقة الأئمة الأخيار .

ولكننى أحببت — ولست أدري لم — أن أصرف أستاذى « المازني » ساعة عن هذه « الضرة » الباقية التى يهيم بها ، والتى لا يطيق لها هجراً ولا بعداً ، وأن أثقل فأهذر — أمامه — حيناً ، فعهدى به أنه محظوظ من جماعة الثقلاء ، فلكم طرقوا بابه موهناً وهو يغط فى نومه ، وسحبوه من فراشه لسؤال أو مزاح . ثم إنى — بعد هذا — أطمئن وأقول له إننى لست من هؤلاء الشباب « الناعمين » أبناء الجيل الجديد ، الذين جاءوه زائرين ، فأذاقهم « علقته » وردهم إلى الباب مدحورين ، ثم فضحهم وشهَّر بهم « في الرسالة » أمام الناطقين بالضاد أجمعين .

لئن نعى الأستاذ « الزيات » والأساتذة « المازنى والعقاد وأمين » من بعده ، على أدباء هذا الجيل الناجمين ، جهلهم بلغتهم ، وتقصيرهم فى تحصيل آدابها ، فما أحقنى إذن ، أن أشغب على زملائى الناشئين — وعلى الكهول فى سوريا أيضاً — فأنعى عليهم جميعاً : ضعف النفس ، وضمور الشخصية ، وقلة الاستعداد لحمل رسالة الفكر الحر ، والعقيدة الثائرة ؛ وأن أسمى هذا النوع من حملة الأقلام « أدباء الدلال » بعد أن أسمى أستاذى « الزيات » أدبهم « أدب السندوتش » هـذا الذي تقوم ثقافته على « نتفات من الكتب ، ولقفات من الصحف ، وخطفات من الأحاديث » والذي نجد نتاجه « مختصراً معتسراً كجنين الحامل أسقطته قبل التمام » .

إن شأن اللغة فى الأدب الفحل ثانوى بالقياس إلى نفس الأديب وشخصيته ، وإن الجهل بها والتقصير فى تحصيل آدابها ، من السهل واليسر — إلى حد بعيد — أن نعالجهما ونبرأ منهما ، إذا ما تعهدناها بالارادة القوية ، والعزيمة الحازمة ، والكدح الصابر ، والمعاناة الجلدة .

ولكن اللغة بلا نفس تنفخ فيها الحياة ، ولا شخصية تطبع هذه الحياة بطابع خاص ، ودون فكرة تذاع ، لاتكون إلا حطاماً تدوسه الأقدام ، وقرقرة تعافها الآذان

كثيرون وكثيرون من الأدباء أوفوا فى معرفة لغتهم على الغاية ، وأشرفوا فى تحصيل آدابها على الذروة ، ولكن طبيعتهم التى لابستهم ، وبيئتهم التى أخرجتهم ،وعوامل أخري ، كل هذا لم يهيئ لهم النفس التى تهدم لتبنى ، والشخصية التى تستقل لتهيمن ، فتهوروا وتدهوروا وانحدروا إلى الوادى بين جموع الناظمين والمنشئين واللاعبين ، من حيث طفر إلى القمة أهل النفوس والشخصيات ، فتبوؤا قمم « أولمب » واستقروا فى جنات « عبقر » ذلك لأن قوام الخلود فى عالم الأدب ، نصيب هـذا

الأدب من فيض الحياة وزخرها ، وقسطه من معرفتها وخبرها . وهذه الحياة التى أعدت للرجال أهل العود الصلب واللسان العضب ، محرمة على من ضعفت نفوسهم ، وضمرت شخصيتهم ، ولانت قناتهم ، وموصدة أبوابها دون أولئك الذين يتهيبون مجاهلها ، ويخافون جدها ،ويجفلون من عثارها ، ويعولون جياعاً على عتباتها ، والذين لاتحملهم أقدامهم الرخوة للجرى فوق شوكها ، والوثب على صخورها

هؤلاء « الناعمون المدللون » أهل الدلال والدعة ، هم طفيليات فى هذه الحياة ، وهم ـ بالتالى ـ متطفلون على موائد الأدب ، وليس للمتطفلين فى عالم الأدب بقاء

بل أنا أذهب إلى أبعد من هذا ، فأقول بأن أصحاب النفس الشديدة ، والروح القوية ، والشخصية الجبارة ، يتهيأ لهم من حسن البيان ، وجودة المقال والارتفاع بفنون الكلام ، ماتتقطع دونه أقلام من تمكنوا من ناحية اللغة ، وتفقهوا فى أساليبها ، وبصروا بنتاجها ، من أهل البرودة والنعومة والدلال

ذلك لأن الفكرة فى النفس القوية قوة ، قوة عاصفة جامحة حرون ، « تتكهرب » لها الأعصاب المرهفة ، ويثور لحملها الوجدان ، فما تجد النفس ترفيها وتنفيساً إلا فى أن تقذف بها فى أسلوب نير كومضة البرق ، قوي كالحمم تنطلق من فوهة البركان ، بليغ يرتفع فى آفاق البلاغة والبيان إلى ما تتقطع دونه علائق الأحلام والأفهام

هذا هو الأستاذ البشرى يقول : « إن السيد جمال الدين الأفغانى كان غريباً عن العربية ، وإن قاسم أمين كان شبه غريب عنها ، وإن حسين رشدى باشا كان قل أن تطرد على لسانه ثلاث كلمات عربية متواليات ، ومع هذا كانوا يرتفعون بالعبارة أحياناً إلى ما يتخاذل من دونه جهد أعيان البيان »

ولا عجب من هذا ، ألا ترى إلى مقالنا ، كيف يبين ويرتفع في سماء الوجدان ساعة ثورتنا وغضبتنا ، إلى ما لا قدرة لنا عليه فى ساعة الرضى والاطمئنان ؟

كذلك هى النفس القوية ، أبداً فى ثورة عاصفة ، وغضبة جامحة ، وكذلك هى أبداً فى تحفز للوثبة ، وتأهب للطفرة والهجمة فان لم تجد أمامها ما تحطم ، رجعت إلى قرارتها تثير حرباً عواناً بين خيرها وشرها ، وحقها وباطلها ، وتقاها وفجورها ، لأن الهدوء والركون صور من صور الموت ، والنفس القوية لا تعرف فترات الموت والبرودة والجمود ، ما دامت تبصر النور ، وتتنفس الهواء .

* * *

الحياة سفر الأديب الموهوب : وهى صراع دائم بين الغى والرشد ، والحق والباطل ، والجمال والقبح ، والهدى والضلال ، والحب والبغض ؛ فالأديب الحق هو الذى ينزل إلى ميدان هذه المعركة المحتدمة ، يقاتل ويناضل ويصاول في سبيل الرشد والحق والهدى والحب والجمال ، إلى أن يحطم أصنام الشر والبطل ، ويهدم حصون الضلال والقبح ، أو يتحطم هو على أقدام الحق الذى ناضل فى سبيله ، وتحت ظل الراية ، التى نافح عنها ، وهكذا يلفظ النفس ، راضى النفس ، مطمئن الضمير ، هادىء الخاطر ، يبسم لأحلام القبر كما نسعى إلى الفراش إذا مسنا اللغب وأثقل جفوننا النعاس ، فنسحب اللحاف ، ونسبله علينا ، هادئين باسمين لنستسلم إلى الأحلام .

هذه هي الحياة ؛ وهذه هى رسالة الأديب : قطع الصخر ، وتجرع الصاب ، وتحطيم الأصنام ، والطفرة على حطامها إلى قمم المجد ، وسماء الخلود .

فهل أعد أدباؤنا الناشئون — والكهول أيضاً — نفوسهم ومهجهم وأدمغتهم لهذه المعركة التى وقودها النفوس الطامحة ، والقلوب الراغبة ، والضمائر الحرة ، والعقول النيرة ؟

اللهم لا ! اللهم لا !

من يعتري فى هذا فلا ينعى على أدبائنا الناجين — وعلى الكهول عندنا — رخاوة العصب . والدلال والدعة والأنوثة واللين ؟

من يعترى فى هذا ، فلا ينعى عليهم ضيق الأفق ، وخط الخيال ، وقصر المدى ، وضعف الجنان ، وتهيب القديم لأنه قديم ، وحب الجديد لأنه جديد ، والحرص على السلامة والمسالمة ، والراحة والركون ، والنفرة من المصاولة والمعاركة وقلة الجلد على حياة الجهد والتعب والضوضاء ، والتهيب من التجربة والاقدام ،

وضعف التعلق بالحق والمثل الأعلى والجمال ؟

إن حياة الأدباء أصبحت مضرب المثل ، ووحدة القياس ، فى خمول النفس ، وكسل العقل ، وضعف الاستعداد للحياة ؛ فاذا قيل لك : هـذا أديب فاعلم أنه من هؤلاء الذين يخرجون إلى الشارع ، والفراش على أكتافهم « والمخدة » فوق ظهورهم .

أجل ! إننا لا نرى من ينقطع إلى الأدب من شبابنا إلا الذين خانتهم أقدامهم فى الوثوب إلى مراقى المجد ، والطفرة إلى قمم الظفر والذين نزلوا إلى ميادين الحياة ، فلما بلوها وبلتهم ، وعجموها وعجمتهم ولوحت لهم بسياطها من بعيد هرولوا وارتدوا على أعقابهم ناكصين حائلة ألوانهم ، مرتعدة فرائصهم ، ثم انتحوا جانباً قصياً من الطريق ، بعيداً عن مواطن أهل الرجولة والإقدام ، على غرار العاجزين المتسولين الذين يقبعون فى زوايا الشوارع القـذرة ، أمام أهل الأعمال .

هاهم أولاء شبابنا الذين يخفقون فى الشهادات « والبكالوريات » تسألهم : ما تصنعون ؟ فيقولون : ندرس الأدب . وهكذا أصبحت دراسة الأدب صناعة العجز ، ودليل الخور ، وبرهان الفقر فى المواهب ، أو الضعف فى النفس . وقد ينتهى هؤلاء إلى شئ ما فى دراستهم هـذه ، فتراهم يصيحون نائحين فى مآتم الموتى ، أو مهرجين فى حفلات الأحياء ، أو حارقين للبخور أمام أهل الجاه

ولا عجب من هذا ، فهم لا يصلحون للحياة ، ومن لا يصلح للحياة لا يصلح لحمل القلم ، والوقوف فى صفوف الأدباء

ثم هذه هي المقاهى ، ودور البطالة واللهو والعبث ، أصبحت ملاجئهم يلجأون إليها كما يلجأ العجزة إلى دورهم وملاجئهم ، ويفرون إليها من زحمة الحياة ، وهم يقرقرون ويموءون وينقنقون

أعرف أديباً كهلاً — أو على الأصح متأدباً — : أفتدرى يا صاحبي ما هى رسالة أدبه ؟ رسالته — بالضبط — رسالة « عميان الجنائز » والنائحات اللاتى يستأجرن فى المآتم للندب واللطم والشق والعويل ، أو رسالة « البرابرة » الذين يستأجرون فى مصر لتأديب المآدب ، وتنظيم الحفلات

يسمع أن صديقه فلانا قد مرض ولزم الفراش ؛ وقد يكون مابه لفحة حر ، أو زكام طفيف ، فهو — منذ أيام المرض الأولى — يعد لصديقه العزيز مرثيته العصماء ليبكى فيه — إذا ما مات وأظنه يريده أن يموت ليرثيه — ليبكى فيـه النجم الذى أفل ، والبحر الذى نضب ، والرحمة التى رفعت ، والرجولة التى فقدت . ويسمع أن « فلاناً » وهو من أهل الجاه الطويل العريض — سيؤم المدينة بعـد أيام ؛ فاذا قدم كان صاحبنا الأديب الخالد أول المستقبلين والمرحبين ، وكان أول الخاطبين بين يديه والمادحين ؛ وقد يكون هذا العين ممن لا يعرفهم صاحبنا إلا « بالسلام » وقد يكون من هذه الطبول المنفوخة الجوفاء التى نقع عليها فى طريقنا صباح مساء ؛ وقد يكون ممن كان يشهر بهم أديبنا آناء الليل وأطراف النهار ؛ وقد يكون من هؤلاء المجرمين الذين يروحون ويجيئون أمامنا بأثواب القديسين والأقطاب ، فنسجد لهم ونحملهم على الأعناق ؛ قد يكون هذا العين من كل هؤلاء ، ولـكن أديبنا لا يتحرج إذ يخلع عليه الألقاب ، وإذ يغرقه بالتحيات ، ويجعله فى البلاغة سحبان وإن كان أعيا من باقل ، وفى الـكرم حاتماً وإن كان أبخل من أشعب ، وفى الشجاعة عنترة وإن كان أجبن من أبى دلامة

وليت هذا الرثاء وهـذا المديح كانا من وحى الخاطر ، ومن بنات القريحة ؛ وإنما هما سرقات من الـكتب رصفت رصف الحصى ، ونتفات من الدواوين ركبت تركيب « اللعبة »

أعرف أديباً آخر — أو على الأصح متأدباً — أفتدرى يا صاحبي ما رسالته ؟ رسالته هى مهمة « سماسرة » القطن فى مصر أو « سماسرة » البصل والثوم عنـدنا فى سوريا . إذا كان الصباح يدعو إلى الانتـداب ، ويتغنى بمآثره و « يسمسر » له ؛ وإذا كان الضحى ، وكان الحكم الوطنى ملأ الجو بالتصفيق ، وحطم الآذان بقصائده ينشر فيها مجد بنى عبد شمس ، ويذيع فيها صنيع أبناء عدنان ؛ وهو « يسمسر » للحكم الوطنى لأن بيـد الحاكمين مناصب الدولة ، ورياسـة ديوان وزارة المعارف ؛ وهو عند الأصيل معارض للحكومة الوطنية ، متحمس فى معارضته ، مسرف فيها ، لأنهم طردوه ولم يقبلوه ، وهو أخيراً فى المساء رجل مسالم يقف بعيداً « على الحياد » لا يدعو إلى شئ ولا يؤمن بشئ لأنهم لوحوا له من بعيد بالسوط ، مهرول إلى عقر داره ، مضطرب

النفس ، مهتز القلب ؛ وآثر السكوت والرضى بالواقع على الشغب المغرض ، والنعيب المضجر

أعرف متأدباً قيل له ذات يوم « لم لا تنتسب إلى هذا الحزب ومبادئه كيت وكيت؟ » فقال : « إنني أؤمن بمبدئه ، وأرضى عن منهجه ، وأطمئن إلى برامجه ، ولكن خصومه أصدقائي وصحبي ، فلا قدرة لي على خصامهم ! . . وعلى أن أكون حرباً على هذا الحزب بين صفوفهم ! . . »

هـذه خطوط هي إلى اللمحات الخاطفات أقرب منها إلى الصور الجامعات ، أوردناها — على عجل — لتلمس أيها القارئ نواحي من هذه الحياة التي يضطرب فيها جماعة الأدباء ، والتي هي ضرب من ضروب الجمود بل الموت .

***

يزعم أدباؤنا أن سماءنا غائمة ليس لها روعة الإيحاء والالهام ، وأن آفاقنا ضيقة ليس لها القدرة على تفتيق الأذهان والأحلام ، وأن حياتنا جامدة ليس فيها من فيض الحيـاة ما يحرك المشاعر والأوتار .

لا ! لا ! لم تغم السماء ولكن عيونكم حسرى ما ترتفع ، ولم تضق الآفاق ولكن أذهانكم لم تفتق ، ولم تتجمد حياتكم ولكن أوتار قلوبكم ما تتحرك .

ها هنا زعمـاء يرقصون على قبور الأمة ، ويرتفعون على أشلاء الشهداء ، ويتناصرون لاقتسام الغنائم تناصر الذئاب الجائعة أمام الجيف في أقصى الصحراء ، والناس — على رغم هذا — يحملونهم على الأعناق ، ويحرقون أمامهم البخور ، ويهتفون باسمهم أطراف الليل وآناء النهار

في كل مكان مرجفون يرجفون ، ومضللون يكذبون ، وغادرون يغدرون ، وماكرون يمكرون ، وجاهلون يتمالون ، وأغبياء يرتفعون ، ومجرمون في ثياب الأقطاب والأولياء ، وبين الهتاف والتصفيق يروحون ويجيئون .

والحقيقة في كل هذا تشرد فلا مأوى ولا مصير ، والفضيلة تستغيث وتستجير فلا مجير ولا نصير .

أليس في كل هذا ، ما يلهب الحقد والضغينة في صدر الأديب ويحوله إلى طاغية غشوم ، يبطش بلا رحمة ولا هوادة ، في أهل المجد المزيف المجرم ، والجاه الملوث الكاذب؟

في كل مكان أمة تصنع لقمتها من دمعها ودمها وقطع كبدها ثم ترفعها بيدها المرتعشة المشلولة إلى فمها لتسد رمقها ، فاذا اليد القوية تمتد إليها وتتخطفها ، وهي على شفتيها ، والسوط يهتز في يسراها .

في كل مكان نعاج رواقص على سكينة الجزار ، وسياط هاويات على ظهور المستضعفين من العبـاد ، وعذارى يشردن ويبعدن عن أوطان الآباء والأخوة والامهات ، وشذاذ الآفاق يشترون الضمير البشرى بالأصفر الرنان ، وذئاب « جنيف » تعصف بها غرائز الوحشية والجشع ، فتنتشر في بقاع الأرض الآمنة المطمئنة ، تثير الفتنة ، وتبعث الروع ، وتستنزف الدماء ، ومن ورائها الخبث الأوروبي يحارب في سبيل السلام ، ويبغض في سبيل الحب ، ويرهب في سبيل التأديب ، ويسرق في سبيل الاطعام ، ويوقظ الفتنة في سبيل الأمان !

أليس في كل هذا ما يشعل النخوة في رءوسكم ، ويحرك المروءة في نفوسكم ، ويثير الغيرة في قلوبكم ، ويدفعكم إلى إغماد أقلامكم في أفئدة هذه الذئاب ، وصوغها أسرة لهذه العذارى الشردات ، وإرسالها سهاماً في صدور الظالمين الطغاة ، ورفعها أعلاماً خفاقة للحق والخير والجمال ؟

أين أنتم يا أصحاب المشاعر الرهيفة ، والقلوب الرقيقة ؟ يقولون « الأدب نزيف القلب : طاهره ورجسه ، ونشيد الشعور : نبيله وخسيسه ؛ ومعيار القوة فيه أن ينزف القلب فيتفجر ، وأن ننشد فنبدع . » إذن ، لم لا تسمعوننا دقائق من زئيركم ، إلى جانب الشهور الطوال من نحيبكم نحيب الأطفـال ، ونواحكم نواح العجائز ؟

ستقولون : « هـذا ما يجرى على اللسان . وما يفيض عن القلب » ؛ وسنقول لكم : « إنكم مرضى في أعصابكم ، يا أنصاف الرجال ، وأشباه النساء . »

بلى ! يا طلاب الأدب الباكى النائح ، يا مجائز الفن

هؤلاء هم آباؤكم وأمهاتكم وأبناء عشيرتكم ، يزجون فى السجون ، ويرسفون في القيود ، وتتلظى رقابهم على شفرات منجل الجلاد ؛ ترتعش جفونهم المثقلة لتلمح ومضات النور ، وتلهث صدورهم من خناق الكهوف ، ويغلي فى صدورهم الشوق إلى مروج الحياة الحرة ، حيث ترقص عرائس الأحلام والآمال فى أحضان الربيع . . .

أليس من جمود الحس ، وبلادة الشعور ، وغلظ القلب ، أن تشربوا كأسكم على قبور الآباء ، وأن ترقصوا فى مآتم الأمهات ، وألا تحرك أوتار قلوبكم هذه الأمانى المشتركة الطوال العراض ، وألا يهيمن على نفوسكم هذا الموقف الذى تمازج فيه الأنوار بالظلمات ، والآلام بالآمال ، والضجر بالرغبات ؟ فما نراكم إلا مالئين بنحيبكم جو الرجال ، وقارعين آذانهم بنواح « الدلع » والدلال ؟

المجد ، والشهرة ، والنبوغ ، والخلود : كل هذا من عرائس القلب ، وحسان الخيال .

لم لا يوقظ الحب في قلوبكم ، وتلهب الشهوة فى جسومكم عرائس هذه العواطف العليا اللاتى يرقصن على أكف النجوم عاريات ، ويتمن على ظهور القرون غافياتٍ ، ويضربن على أوتار التاريخ منشداتٍ ، ويقطفن أكاليل الغار من رياض الجنان ، ليعصبن بها رءوس المجانين من أهل العشق والغرام ؟

لم لا تترامون على أقدام هذه العرائس التى يشع منها نور الرجولة ، وتتفتح تحتها أزهار الحياة ، بدل أقدام غانياتكم التى يفوح منها روائح الرجس والخزى والعار ، والتي مصيرها إلى نجوة قذرة فى جوف التراب ؟ أليس فى اختطاف الرجال رغباتهم من يد الأقدار ، وركوبهم مراكب الهول فى سبيل الآمال ، وتبوئهم عروش النصر مضمخة بالدماء ، أليس فى كل هذا مايبعث فيكم عواطف الرجولة والشدة والبأس ، بدل الأنوثة والبرودة والقنوع والدلال ؟

أيها السبعة ، ياشباب الشيوخ ، وياشيوخ الشباب ابعثوا الثورة والتمرد فى نفوس الناشئين من الأدباء ؛ قولوا لهم : « إن حياة الأديب لاتكون إلا فى ميادين الطعن والضرب والعراك ؛ ولا تهنأ إلا تحت ظلال الحق والحب والخير والجمال ! »

قولوا لهم : « إن القلم الذى تحملونه أعد لتغمدوه فى قلوب الباطشين الظالمين ، والمجرمين الحاكمين ، والأتقياء المزيفين ، فان لم تفعلوا فاغمدوه فى قلوبكم فما خلقت الحياة لتذل جبان رعديد ، وفى القبور مراد للاغبين »

إذا فعلتم هذا ، أيها السبعة الأئمة ، في العالم العربى جميعه ، تصبح معضلة الضعف فى اللغة من الهنات الهينات ؛ وتقر عيونكم بأدباء على غراركم : هم أهل لحمل القلم ومجده ، وهم أهل لأن يقولوا عن أنفسهم ماقال (فولتير) عن نفسه « مايمنعنى عن أن أكون ملكا ، وإن لم يزن مفرق تاج ؟ ! »

أجل ! آنئذ يصبحون ملوكاً على عروش الأدب والبيان ؛ ملوكا تتحطم تحت أقدامهم عروش ملوك البطش والجاه ، وتحمل عروشهم الخالدة أعناق القرون والدهور والآباء .

« حمص سورية » ماجد الأتاسى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الشعراء

وقال زارا لأحد أتباعه : منذ بدأت أعرف حقيقة الجسد لم تعد الروح روحاً فى نظرى إلا على أضيق مقياس ، وهكذا صرت أرى (كل ما لا يفنى) رمزاً من الرموز .

فأجاب التابع قائلا : لقد قلت هذا من قبل يا زارا ولكنك أضفت إليه قولك « وكثيراً ما يكذب الشعراء » فلماذا قلت هذا ؟

فقال زارا : أنت تسأل لماذا ، وما أنا ممن يحق عليهم أن يُسألوا . ما أنا ابن الأمس وقد مر زمان طويل على إدراكي أسباب ما أرتأيه ، وهل أنا خزانة تذكارات لأحفظ الأسباب التى بُنيت عليها آرائى ؟ إنما يكفينى عناء أن أحفظ هذه الآراء نفسها ، أفليس فى العالم عصافير تشرد من أماكنها ؟ ولكم وجدت فى قفصى من طير غريب يرتجف إذا ما مرت عليه يدى ومع ذلك فماذا قال لك زارا يوماً ؟ لقد قال إن الشعراء كثيراً مايكذبون، وهل زارا نفسه إلا واحد من هؤلاء الشعراء ؟ أفتحسب أنه بهذه الصفة قد أعلن الحق ؟ وما الذى يكرهك على تصديقه ؟

فقال التابع : إننى مؤمن بزارا .

أما زارا فهز رأسه وابتسم قائلا : ليس الايمان مما يرضينى حتى ولو كان هذا الايمان معقوداً علىّ ، ولكن إذا قال إنسان بكل جد : إن الشعراء يكذبون ، فانه ليقول حقاً لأننا نحن الشعراء نكذب كثيراً ، ولا بد لنا من الكذب ما دام ما نجده من العلم قليلا . ومَنْ من الشعراء بيننا لم يغش شرابه وفى سراديبنا تستقطر السوائل المسمومة ؟ ولكم فيها من أمور يقصر عن وصفها البيان . إن افتقارنا فى المعرفة يهيب بنا إلى محبة مساكين العقول وبخاصة إلى محبة مسكينات العقول الفتيات . . . فنحن نعود بشهواتنا إلى الأمور التى تتحدث عنها العجائز فى السمر ونقول إن ما نبحث فيه إنما هو قضية المرأة الأبدية .

يخيل لنا أن أمامنا طريقاً سوياً يؤدى إلى المعرفة وأن هذا الطريق لا ينكشف لمن يدركون الأمور بالعلم ، فنحن لا نؤمن إلا بالشعب وبحكمته . فالشعراء جميعهم يعتقدون أن الجالس على منحدر جبل مقفر يتنصت إلى السكون يتوصل إلى معرفة ما يحدث بين الأرض والسماء . وإذا هم هزهم الشعور المرهف خيل لهم أن الطبيعة نفسها أصبحت مغرمة بهم فيرونها تنحنى على آذانهم لتلهمهم البيان الساحر والأسرار ؛ فيقفون مباهين بالهامهم أمام كل كائن يزول .

واأسفاه ! إن بين الأرض والسماء أموراً كثيرة لايحلم بها إلا الشعراء وهنالك أمورٌ أخرى كثيرة فوق السماء ، فما جميع الآلهة إلاّ رموز أبدعها الشعراء .

والحق أننا منجذبون أبداً إلى العلياء ، إلى مسارح الغيوم فنرسل اليها أكراً منفوخة ملونة ندعوها آلهة وبشراً متفوقين . والحق أنهم من الخفة على ما يجعلهم أهلا لاقتعاد مثل هذه العروش

ويلاه ! لكم تعبت من كل قاصر يطمح إلى جعل نفسه شيئاً معدودا ؟ ولكم أتعبنى الشعراء ؟

وما نطق زارا بهذا الكلام حتى ثارت نفس تابعه ، ولكنه كظم غيظه فسكت وسكت زارا أيضا وغيض نظره كأنه يسبر أقاصى نفسه ، ثم تنفس الصعداء وقال : انا من الأمس ومن الزمن القديم ولكنّ فى شيئاً من غد وبعده ومن الآتى البعيد . فقد أتعبنى الشعراء الأقدمون منهم والمجددون فما هم فى نظرى إلا رغوة لا صريح تحتها ، بل هم أسِرَّة بحار جفت مياهها . إن أفكارهم لم تنفذ إلى الأغوار ، وقد وقف شعورهم عند أول جرفها .

وخير ما ترى فى تأملاتهم قليل من الشهوة وقليل من الضجر فليست بحورهم إلا مجالات تنزلق على تفاعيلها الأشباح فهم لم يدركوا شيئاً بعد من القوى الكامنة فى النبرات . لم يبلغ الشعراء درجة النقاء فهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم أنها بعيدة الغور ؛ إنهم يريدون أن يقيموا أنفسهم موفقين بين مختلف المعتقدات غير أنهم لا يزالون رجال العمل الناقص السائرين على السبل المتوسطة الحائرة فهم يعكرون المياه بأقذارهم .

وآسفاه لقد ألقيت شباكي فى بحارهم آملا اصطياد خير الأسماك ولكننى ما سحبت هذه الشباك مرة إلا وقد علق فيها رأس إلـه قديم . وهكذا كان يجود البحر بحجر على الجائع .

ولعل الشعراء أنفسهم خرجوا هم أيضاً من البحر وفيهم ولا ريب

بعض اللآلىء ، فهم أشبه بنوع من المحار الممنع بأصدافه ، ولكم وجدت فى داخلهم بدل الروح شيئاً من الرغوة المالحة . إن الشعراء يقتبسون من البحر غروره ؛ وهل البحر إلا أشد الطواويس غروراً ؟ فهو حتى أمام أقبح الجواميس يدحرج أمواجه ويبسط أطالس مراوحه وأطراف وشاحه المفضض فيحدجه الجاموس بنظرات الغيظ لأن روحه المقتربة من الشاطىء لا تزال ملتصقة بمعلفه ومرعاه فما يبالى بالجمال وبالبحر وبهاء الطواويس . هذا هو المثل الذى أضربه للشعراء . والحق أن فكرهم لطاووس مغرور بل هو بحر من الغرور ، ففكر الشاعر يطلب مَنْ يشاهده حتى ولو كان المشاهد جاموسا .

لقد أتعبنى هذا الفكر وسوف يأتى زمان — وهو قريب — يتعب فيه هذا الفكر من ذاته .

رأيت بعض الشعراء يتحولون عن الشعر ويوجهون النقمة إلى ما كانوا عليه ، ورأيت من يقدِّمون كفّارة للفكر ، وما نشأ هؤلاء المكفِّرون عن الضلال إلا بين الشعراء .

هكذا تكلم زارا . . . .

الفلسفة الشرقيــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٦ —

سامكهيا :

عاش الحكيم « كابيلا » مؤسس هذا المذهب فى القرن السادس قبل المسيح كما يظن أكثر الباحثين المدققين . وقد نشأ هذا الظن عندهم من أن أقدم النصوص التى تحدثت عنه وعن مذهبه ترجع إلى القرن الخامس قبل المسيح ، وأنه قد عثر فى هذا المذهب وفي المذهب البوذى على تأثرات قوية متبادلة بين المذهبين بالتساوى مما يدل على أنهما متعاصران تقريباً لاسيما إذا كان بعض تلك النقط المتشابهة واضح الأصلية فى أحدهما والحداثة فى الثانى ، والبعض الآخر على العكس من ذلك تماماً .

سمى هذا المذهب بـ « سامكهيا » لقوله بالتعدد الذى لا يتناهي فى النفوس ، وهو على الأصح مذهب إلحادى لا يقول بإله مسيطر متصرف فى الكون ، وهذه إحدي النقط التى يلتقى فيها مع البوذية التى صورتها لنا نصوص العصر الذى تلا عصر « بوذا » وبعبارة أدق : لعلها إحدى النقط التى تأثرت فيها البوذية بعد موت زعيمها بمذهب « سامكهيا » الإلحادى الذى لا يشك باحث في أن الالحاد متأصل فيه .

يرى صاحب هذا المذهب أنه لا يوجد للكون إله قدير منفرد بالتصرف فيه ، وإنما يرى أن هنالك روحا عاماً أو عالماً من الأرواح غير محدود ولا متناه ، متشابه الوحدات ، وأن هذه الوحدات بتكاتفها مع المادة هي التى تحدث فى الكون هذه الآثار وتلك التغيرات على النحو الذى يفصله فيما بعد ، وهو يرى كذلك وجود عالمين هما فى الحقيقة والأزلية والأبدية سواء . وهما : النفس ، وتسمى بالهندية : « بوروشا » والمادة ، وتسمى : « براكريتى » . وهذان العالمان لا يتفقان فى أى شيء آخر عدا الحقيقة والأزلية والأبدية . ومع ذلك ، فان بينهما صلة قوية ، لأن مجاورة النفس للمادة هي التى تكسبها الحركة التى هى منشأ كل النتائج الصادرة عنها ، ولكن النفس وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئاً وإن كانت حية مشتملة بالقوة على جميع عناصر القدرة التأثيرية ، وهى مبصرة ولكنها عاجزة على عكس المادة العمياء المشتملة على قدرة كامنة يستحيل بروزها من غير اتصالها بالنفس ، وهم لهذا يشبهون اتحادها باتصال مقعد وأعمى التقيا فى صحراء ، فاتفقا على تعاون عملي بينهما يضمن لهما النجاة ، وهو أن يحمل الأعمى المقعد على كتفيه ، ليمكنه من السير فى مقابل أن يدله المقعد بوساطة بصره على الطريق الذى لم يكن فى مكنته أن يعرفه لولا معاونة رفيقه ، وقد وصلا معاً إلى شاطىء النجاة بفضل هذا التعاون العظيم . وهكذا شأن النفس مع المادة هيأ لها اتحادها إبراز خواصهما التى لم تكن لتوجد بدون هذا الاتحاد .

وللمادة ثلاث صفات ملازمة لها ، وهى الخيرية والهوى والظلمة ، وإن هذه الصفات تظل تتفاعل فيما بينها في عصور مختلفة حتى تصل إلى حالة الاعتدال التى تسوي بينها ، فإذا وصلت إلى هذه الحالة تتطورت تطوراً آخر جديداً نشأت عنه الطبيعة ؛ وبارتباط النفس والمادة المتطورة والطبيعة الناشئة عن هذا التطور يوجد هذا العالم المشاهد . غير أن هذه النظرية لم تلبث أن تلاشت

وحلت محلها نظرية أخرى على العكس منها تماماً ، إذا أصبحت فكرة الارتباط الحقيقي بين النفس والمادة لاوجود لها ، وإنما أصبح الرأى السائد هو أن النفس تجتمع مع المادة اجتماعاً مؤقتاً ، أساسه الضرورة التى تتطلبها الحياة الدنيوية ، ثم لا تلبث هذه الضرورة أن تزول فتتخلص النفس من هذه الصلة المقيدة لها ثم تنطلق إلى عالم الأبدية الأعلى حيث تنام بلا نهاية نوما عميقاً هادئاً لا تزعجه الرؤى ولا تنغصه الأحلام .

ويرى كذلك أن الشر فى هذا العالم موجود وجوداً ذاتياً وأنه لا يقدر على محوه إلا بوساطة العمل الصالح والتخلى عن جميع اللذائذ والتأمل فى أسرار الكون ، وعلى الخصوص بالمعرفة التى هى الغاية المثلى من جميع هذه المحاولات المتقدمة .

وهم للحصول على هذا الخلاص المنشود يغالون فى التصوف مغالاة شديدة حتى ليجلس الواحد منهم على شاطىء أحد الغدران عدة أعوام طويلة دون أن يغادر مكانه ، ويقتات بالأعشاب ويديم التفكر فى أسرار الكون ، ولا يزال يغالب نفسه حتى ينتزعها نهائياً من دنس المادة ، وقد تصل به الحالة أثناء هذا التنسك إلى أن يصير جسمه نصف متحجر وتنبت فيه الحشائش وتلتف عليه الأغصان .

ومع ذلك فسوف لا يعم هذا الخلاص جميع النفوس البشرية وإنما سيبقى منها عدد غير متناه ساقطاً فى أحابيل الشر مسجوناً فى غيابات الأجسام المادية ، لأنه مهما اقتطع من اللامتناهي عدد ذهب إلى الخلاص ، فان ذلك الاقتطاع لا يؤثر فيه ولا يخرجه عن صفة اللانهائية لا سيما إذا عرف أن الأصل هو الشر أو الانحباس فى سجن المادة ، وأن التخليص عارض ، ولكن أنجع الوسائل إلى هذا التخليص هو معرفة القوي الكونية الخمس والعشرين ودوام التفكير فيها . ولذلك يقول «بياس ابن پراشن» : اعرف الخمسة والعشرين بالتفصيل والتحديد والتقسيم معرفة برهان وإيقان ، لا دراسة باللسان ، ثم الزم أى دين شئت فان عقباك النجاة . . .

وهذه القوى الخمس والعشرون هي : النفس الكلية والهيولى المجردة ، والمادة المتصورة ، والطبيعة الغالبة ، والعناصر الرئيسية وهى : السماء والريح والنار والماء والأرض ، وتسمي « مهابوت » والأمهات التى هى بسائط العناصر ، فبسيط السماء « شبد » وهو المسموع وبسيط الريح « سبرس » وهو الملموس . وبسيط النار « روب » وهو المبصر . وبسيط الماء « رس » وهو المذوق ، وبسيط الأرض « كند » وهو المشموم . ولكل واحدة من هذه البسائط ما نسب إليه وجميع ما نسب إلى ما فوقه . فللأرض الكيفيات الخمس ، والماء ينقص عنها بالشم ، والنار تنقص عنها به وبالذوق ، والريح بهما وباللون ، والسماء بها وباللمس . ولعلهم فى نسبتهم الصوت إلى السماء يقصدون به أن لدوران الكواكب في أفلاكها تلك اللحون الموسيقية التى زعم « فيثاغورس » أن سماعها يتاح لكل من صفت نفسه ولطف حسه . والحواس المدركة ، وهى : السمع والبصر والشم والذوق واللمس والارادة المصرفة والضروريات الآلية . واسم الجملة : « تتو » والمعارف مقصورة عليها (١)

أما الانسان فهو عند هذا المذهب معقد تعقيداً يلفت النظر ، إذ هو مكون من ثلاث شخصيات مختلفة : الأولى الجسم المادي الذى ينحل ويتفكك بالموت ثم تتلاشى أجزاؤه فى أصولها الناشئة عنها من عناصر المادة . الثانية جسم دقيق شفاف ، وهو الذى يعتبر فى الحقيقة الجوهر الصحيح للانسان ، وهو الذى يتناسخ ويتقمص الأجسام الأخرى . الثالثة النفس التى هى الواحد الحق المماثل كل المماثلة لجميع الآحاد الحقة التى هى من عالمه النفسانى الغير المتناهى .

ويرى هذا المذهب أيضا أن الحواس الإنسانية لم توجد اتفاقاً ولا عبثاً ، وإنما وجدت وفاقاً لعناصر الكون ، فكل حاسة من حواس الانسان يقابلها عنصر من عناصر الطبيعة يصلح لأن تقع عليه هذه الحاسة بالذات كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على الديانة البراهمانية .

وليس هذا التعقيد فى شخصيات الانسان مقصوراً على مذهب « سامكهيا » وحده ، وإنما هو أسلوب هندى عام اشتركت فيه أكثر مذاهب تلك البلاد . بل إن غير « سامكهيا » قد يصل بهذه الشخصيات إلى أربع أو سبع أو عشر حسب الظروف والأحوال .

« يتبع » محمد غلاب

(١) أنظر صفحتى ٢١ ، ٢٢ من كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » للبيرونى .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٥١ — تكون رأساً لخيار محمودين

فى (رسالة (١) أرسطو للاسكندر) :

إنك قد أصبحت ملكا على ذوى جنسك وأوتيت فضيلة الرياسة عليهم فما يشرف رياستك ويزيدها نبلا أن تستصلح العامة ، وتكون رأساً لخيار محمودين لا لشرار مذمومين . فان رياسة الاغتصاب — وإن كانت تذم لخصال شتى — أولى ما فيها بالذمة أنها تحط قدر الرياسة وتزرى بها ، وذلك أن الغاصب إنما يتسلط على الناس كالعبيد لا كالأحرار فرياسة الأحرار أشرف من رياسة العبيد . وقد كان ملك فارس يسمى كل أحد عبداً ويبدأ بولده ، وهذا مما يصغر قدر الرياسة ، لأن الرياسة على الأحرار والأفاضل خير من التسلط على العبيد وإن كثروا .

لا تلتفت إلى مشورة من يشير عليك بغير الذى أنت أهله . ولا تعبأ بكلام أقوام خسيسة آراؤهم ناقصــة هممهم يوهون عندك الأمور ويحملونك على العامة

١٥٢ — نحن لا نملك علينا من لا يشاور

روى أن روميا وفارسيا تفاخرا ، فقال الفارسى : نحن لا نملّك علينا من يشاور

فقال الرومى : نحن لا نملّك علينا من لا يشاور

١٥٣ — الملك الدستورى

فى (الكامل) لابن الأثير : كان عضد الدولة لا يعول فى الأمور إلا على الكفاة ، ولا يجعل للشفاعات طريقاً . شفع مقدم جيشه (أسفار) فى بعض أبناء العدول (٢) ليتقدم إلى القاضى ليسمع تزكيته ويعدله . فقال : ليس هــذا من أشغالك إنما الذى يتعلق بك الخطاب فى زيادة قائد ، ونقل مرتبة جندى وما يتعلق بهم ، وأما الشهادة وقبولها فهى إلى القاضى ، وليس لك ولا لنا الكلام فيه ، ومتى عرف القضاة من إنسان ما يجوز معــه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة

(١) رسالة مهمة مطبوعة فى أوربة

(٢) العدل من الناس المرضى قوله وحكمه ، جائز الشهادة ، وعدل الرجل زكاه ، (اللسان)

١٥٤ — أنا عبد الشرع وشحنته

فى (رحلة ابن جبير) : حضر صلاح الدين أحد رجاله المتميزين مستعديا على رجل . فقال السلطان : ما عسى أن أصنع لك وللناس قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعى مبسوط للخاصة والعامة ، وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وإنما أنا عبد الشرع وشِحْنَتُه (١) ، فالحق يقضى لك أو عليك

١٥٥ — تعظم النعمة فى تملك سلطان عالم عادل

كتب ابن العميد (أبو الفضل محمد بن الحسين) إلى عضد الدولة (٢) :

بعد أهل التحصيل فى أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها وانتقاض مِرَرها (٣) والأحوال الداعية إلى ارتفاع جل الموجود منها وعــدم الزيادة فيها — الطوفان بالنار والمــاء ، والموتان (٤) العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين فى المذاهب والآراء ، فان كل ذلك يخترم العلوم اختراماً ، وينتهكها انتهاكا ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندى الخطب فى جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته ، فان البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته تعظم النعمة فى تملك سلطان عالم عادل كالأمير الجليل الذى أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، وبمجمع

(١) شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان (اللسان) مثل الشرطة : رجال البوليس

(٢) الثعالبى : اقرأنى محمد بن الحسين الفارسى النحوى فصلا من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة كنت مررت عليه وأنا عنه غافل فنبهنى على شرفه فى جنسه ؛ وحرك منى ساكنا معجبا بحسنه متعجبا من نفاسة معناه وبراعة لفظه .

(٣) المرة : طاقة الحبل ، وكل قوة من قوى الحبل مرة وجمعها مرر (اللسان)

(٤) الموتان (بالضم والفتح) الموت الكثير الوقوع ، الموت يقع فى المال والماشية (النهاية ، اللسان)

فرقها . وهى نور [١] نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشُرّد نوازع [٢] حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت إليه تلفت الوامق ، وتتشوف [٣] نحوه تشوف الصب العاشق ، قد ماكنها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع ،

١٥٦ — للرعية المنام وعلينا القيام

كان الرشيد فى بعض حروبه فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له بعض أصحابه : أما تري مانحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء [٤] السفر والرعية قارة وادعة نائمة ؟ !

فقال : أسكت ، فللرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولا بد للراعى من حراسة الرعية وتحمل الأذى . وإلى ذلك اشار بعضهم :

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا ... لما نهضت لنصرة الاسلام
ناموا إلى كنف بعدلك واسع ... وسهرت تحرس غفلة النوام [٥]

١٥٧ — محلم العربى كسرى

فى (تاريخ الطبرى وشرح النهج لابن أبى الحديد) : لما قُدم على عمر بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه [٦] وزيه فى المباهاة وزيه فى غير ذلك ، وكانت له عدة أزياء لكل حالة زى — قال : علىّ بمحلم — وكان أجسم عربى يومئذ فى المدينة — فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب ، وصُبّ عليه أوشحته [٧] وقلائده وثيابه ، وأجلس للناس ، فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا أمراً عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذى يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها ، ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه فى ذلك ثم وضعه ثم قال : والله إن أقواماً أدوا هذا لأمناء ؟ فقال على : إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

١٥٨ — حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة

ابن سعيد المغربى فى بعض مصنفاته : وكان الملك العادل [١] ابن أيوب من أعظم السلاطين دهاء وحزماً ، وكان يضرب به المثل فى إفساد القلوب على أعدائه وإصلاحها له . وكان صلاح الدين — وهو السلطان — يأخذ برأيه ، وقدم له أحد المصنفين كتاباً مصوراً في مكايد الحروب ومنازلة المدن — وهو حينئذ على عكا محاصراً للفرنج — فقال : ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبو بكر . . . وكان (العادل) كثير المداراة والحزم ، كثير المصانعات حتى إنه يصوغ الحلي الذى يصلح لنساء الفرنج [٢] ، ويوجهه في الخفية إليهن حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة [٣]

١٥٩ — وأين أنت من محادثة الرجال ؟

قال المأمون للحسن بن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها مملولة خلا سبعاً .

قال : وما السبع يا أمير المؤمنين ؟

قال : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الموطأ ، والمنظر الحسن من كل شىء .

قال : وأين أنت — يا أمير المؤمنين — من محادثة الرجال ؟

قال : صدقت ، هى أولى منهن

---

(١) نارت المرأة من الدية نوراً ونواراً (بالكسر) وهي نوار (بالفتح) وهن نور (الأساس)

(٢) نوازع : غربة ، تنزع إلى وطنها أى تشتاق وهي نازع بغير هاء

(٣) تشوق لكذا إذا طمح بصره إليه ثم استعمل في تعلق الآمال والتطلب (المصباح) .

(٤) من المجاز : (أعوذ بالله من وعثاء السفر) : من شدته (الأساس) وأصله من الوعث وهو الرمل والمشى فيه يشتد على صاحبه ويشق (النهاية)

(٥) ولمحمد بن يزداه فى المأمون (وكان وزيره) :

من كان حارس دنيا إنه قمن ... ألا ينام وكل الناس نوام
وكيف ترقد عينا من تضيفه ... همان من امره : حل وإبرام

(٦) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر ونحو ذلك ، والزبرج الذهب (اللسان) .

(٧) الأوشحة : من جمع الوشاح (بكسر الواو وفتحها والأشاح على البدل) كرسان (نظمان) من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، والوشاح اسم سيف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (اللسان ، التاج)

(١) محمد بن أيوب ، كان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب ، حسن السيرة ، جميل الطوية ، وافر العقل ، حازما فى الأمور صالحا ، مائلا إلي العلماء ، ممتعا فى دنياه ، كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا ، ولادته سنة (٥٤٠) وتوفى سنة (٦١٥) ودفن فى التربة التى بمدرسته (فى دمشق) وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك (ابن خلكان) .

(٢) نساء ملوكهم وأمرائهم الصليبيين .

(٣) لقتاله .

خواطر وأفكار

للأستاذ أديب عباسى

الخاطر الخامر كالداء الخامر : هذا يضعف الجسم ويعرضه لأدواء أخرى ، وذاك يضعف الفكر ويعرضه للكلال والانقباض فى نطاق ضيق

* * *

يجب ألاَّ يخدعنا سكوت الناس عن رأى من الآراء أو فكر من الأفكار فنظن أن هذا السكوت دليل الرضى وآية القبول ؛ فقد يكون الرأى من السخف ووضوح الخطأ فيه بحيث لا يتكلف أحدٌ مشقة العناية به والانبراء لتفنيده

* * *

الخطأ الكبير من صفات العقول الكبيرة ، أما صغار العقول فلا يمكن أن تكون لهم أخطاء كبيرة

* * *

قصر النظر كبعد النظر لازم فى بعض ظروف الحياة ، لا سيما فى الأزمات

* * *

الناجح والفاشل فى الحياة يلتقيان عند قلّة الأصدقاء والمريدين لهم إرادة بريئة من الملق والزلفى أو حب الاستعلاء والظهور

* * *

يقولون لو عرف الانسان كفايته متى تكون لفتر سعيه وقلَّت أطماعه ، وليس أنأى عن الصواب من هذا الرأى . فالواقع أن الناس يسعون ويعملون ويؤملون كأنهم باقون إلى آخر الدهر ومن هنا ترى الشاب والكهل والشيخ يستوون فى المطامح والأطماع

* * *

كثرة التحليل والتعليل والتدبر كثيراً ما تكون سبيلاً للفشل بدل أن تكون عوناً على النجاح

* * *

يضطر المرء أحياناً أن يمثل دور المخدوع ، لعله أن يقلل من أذى الحاقدين وشرهم ، لا سيما إذا كانوا ذوى حول وسلطان

* * *

حتى الأعراض تهون عند البعض فى سبيل الانتقام

* * *

خير للمرء أن يخطئ مع التجربة من أن يتجنب التجربة كيلا يخطئ

* * *

تعوُّدك الأمر من الأمور أسهل جداً من انقطاعك عنه

* * *

فى الناس الميل لذكر السيآت ونسيان الحسنات ، لأنهم فى قرارة نفوسهم لا يحبون أن يكونوا المحسن إليهم ، ويودون دائماً أن ينالوا ما يشتهون بجدهم وسعيهم

* * *

فى طبيعة الناس جميعاً الملل من المؤثر يجيء على وتيرة واحدة ومن هنا ترى الناس على الاطلاق يتمنون لو يبدّلون أحوالاً بأحوال وأوضاعاً بأوضاع مع العلم واليقين أن الأحوال والأوضاع الجديدة قد لا تكون خيراً من الحال والوضع القديم

* * *

السياسى كالدجال يعتمد على خداع الفكر كما يعتمد الدجال على خداع البصر .

* * *

إذا اشتد الجدل حول الرأى من الآراء أو الخطة من الخطط وانتصر الرأى أو الخطة ، فمن الخير والحكمة أن ننزل بالرأى أو الخطة درجة أدنى من التقدير ، وذلك أن حرارة النضال وشهوة الفوز لابد أن تكون أخرجت الرأى أو الخطة عن نطاق الصحة وصدق التقدير .

* * *

معارك الفكر الكبرى تترك كثيراً من قتلى الأفكار الأبرياء كما أن المعارك الحربية تترك كثيراً من القتلى فى غير ميادين القتال .

* * *

السعادة كالأفق دائماً أمامك .

* * *

ليست الفضيلة أن تمتنع عما لا تستطيع ، إنما الفضيلة امتناعك عما تطوله يداك وتخصه بهواك .

إذا أكثر المرء الحديث فى فضيلة من الفضائل فشك فى نصيبه منها

* * *

إذا جاء الاعجاب بالشيء بعد كره له ، فذاك هو أصدق الاعجاب

* * *

الاعجاب المفاجيء كثيراً ما ينتهى بالكره والاحتقار

* * *

الابتكار بالطبع غير الإغراب ، ولكن كثيراً ما يلتبس الواحد بالآخر . ومن هنا يجب ألا يخدعنا الإغراب عن مكان الابتكار فيه ، إن يكن تحته ابتكار

* * *

من الكتاب من لا يريد أن يريك الفكرة فى وضاحة من الألفاظ واستقامة من الأسلوب ، وذلك لأنه ليس على يقين من لجة هذه الفكرة أو صدقها ، فيرى أن يلففها ويغمضها بالملتوى من الأسلوب ومبهم البيان

* * *

حديث النعمة لا يعرف الاعتدال ، فإما السرف الشديد وإما الكزازة

* * *

الدنيا مع الواقف

* * *

الفشل أشدُّ أثراً فى حياة الأفراد من النجاح

* * *

ليست النتيجة بقياس صحيح لجودة الرأى وصواب النهج والخطة ، فقد ينتهى الرأى الخاطيء على غير انتظار بنتيجة طيبة وقد ينتهى الرأى الصائب بنتيجة سيئة

* * *

قدِّر السوء والشرَّ نتيجة لما تسعى . فان جاءك الخير أحسست به قوياً ، وإن جاءك الشر يكن لك من توطينك النفس عليه واقياً يقيك أذى اليأس وأخطار الخيبة

* * *

الشخصية القوية الواضحة كالفكرة القوية لا تزيدها المقاومة إلا رسوخاً وظهور معالم

* * *

منتهى الشك بدء اليقين .

* * *

الطفولة أسعد أوقات الحياة لأنها الدور الأوحد الذى يستطاع العيش فيه للحاضر دون الآتى أو الغابر من الزمن .

* * *

تظلم الثعلب إذ تشبه بمكره رياء الناس . فهو يمكر ويختل تحت أقسى الظروف ، وأشد الضرورة ، أما أكثر الناس فيختالون ويمالئون ويراءون ترفاً وفى غير حاجة سوى حاجتهم إلى إظهار الصغار وهوان النفس .

* * *

حتى الصغائر تظهر صغيرة فى صغار النفوس .

* * *

عند الاضطرار تتقارب صفات الخلق .

* * *

يبلغ من لؤم الطبع فى بعض الناس أن يؤذوا الأصدقاء إذا وُجد بينهم أعداء يريدون لهم الأذى ولا يستطيعون أن يفردوهم لأذاهم من بين هؤلاء الأصدقاء .

* * *

لو أتيح أن يتساوى جميع الناس فى الفضائل ، لأضحت رذائلنا ضرباً من الامتياز يُرغب فيه ويُسعى إليه .

* * *

التوقح أشرف من الرياء ، فهو على الأقل يدلُّ على الجرأة

* * *

عاد مشتركا – إن أمكن – وصادق منفرداً .

* * *

الإقدام لا يكون شجاعة إلا مع تقدير الخطر .

* * *

كل شيء يخف أثره وقيمته إذا تكرر إلا التضحية .

* * *

من ضحى مرة وأعادها ثم أعادها ، بعد إنكار لها ، فنزلته فوق منزلة البشر .

* * *

أعط بعض ذاتك تمط كل ذاتك .

أديب عباس



رسالة الشعر



مختارات من أدب الرافعي

« على جسر كفر الزيات كان للرافعي في صدر شبابه مغدى ومراح ومن عيون الملاح على هذا الجسر تفتحت زهرة شبابه للحب ؛ و (المصفورة) التي ينسب بها الرافعي في القصيدة التالية فتاة من بنات كفر الزيات لقيها على الجسر فهفا إليها قلبه وتحرك لها خاطره ، وهي كانت أول هواه ، وعمره يومئذ اثنتان وعشرون سنة »

محمد سعيد العريان

عصافير يحسبْن القلوبَ من الحبِّ فمَن لى بها (عصفورةً) لقطت قلبى[1]

وطارت فلما خافت العينُ فَوْتَهَا أذالت لها حبًّا من اللؤلؤ الرطبِ

فياليتنى طـــير أجاوز عُشَّها فيُوحِشها بُعدى ويؤنسَها قربى !

وياليتها قد عشَّشتْ فى جوانبي تُغرِّد فى جنب وتمرح فى جنب

ألا يا عصافير الرُّبى قد عشقتُها فهُبِّي أعلمْك الهوى والبكا هُبِّي

أعلمُك النَّوح الذى لو سمعْتِه رثيتِ لأهل الحب من شغف الحب

خذي فى جناحيك الهوى من جوانحى

ورُوحى برُوحى للَّتى أخذت لُبِّي

نظرتُ إليها نظرةً فتوجَّعتْ

وثنَّيْتُ بالأخرى فدارت رَحَى الحرب !

فمِن لحظة يَرمي بها حدّ لحظةٍ كما التحم السيفان عضباً على عضب

ومن نظرة ترتدّ من وجه نظرة كما انقلب الرُّمحان كعباً إلى كعب

فساقت لعينى عينُها أىَّ أسهم قذفن بقلبى كلَّ هول من الرعب

وساق لسمعى صدرها كلَّ زفرة أقرّت بصدري كل شيءٍ من الكرب

ودارت بىَ الألحاظ من كل جانب فمنهن فى سلْبي ومنهن فى نهبي

فقلت: خُدِعْنا ، إنها الحرب خدعة وهوَّنَ خطبى أن أسرَ الهوى خطبي

(١) مما يحسن ذكره أنه كان لأحد بني المنجم جارية (صفراء) مولدة ، فبلغ به الوجد بها إلى أن مرض ونحل ، فدخل عليه الطبيب فجسه وقال : هذا الفتى قد أحرقته (الصفراء) . يريد إحدى الطبائع الأربع ، فقال العليل : أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر ... الرافعي

أقول : والرافعي يعني بهذا أن عصفورته التي ينسب بها كان اسمها (عصفورة)

فقالت: إذا لم تنجُ نفسٌ من الردى فحسبك أن تهوى فقلت لها : حسبي

ولي العذر إمّا لامنى فيكِ لائم فأكبر ذنبي أن حبّك من ذنبي

ويا من سمعتم بالهوى ، إنما الهوى دمٌ ودمٌ : ها ذاك يصبو وذا يُصْبي

متى ائتلفا ذَلاًّ وَدَلاًّ تعَاشُقاً وإلا فما فى رونق الحسنِ مايَسبي

سلونىَ أنبئْكم ، فلم يدرِ ما الهوى سواي ، ولا فى الناس مثلىَ من صَبِّ

إذا شعراء الصَّـــيد عُدُّوا فإنني

لَشاعرُ هذا الحسنِ فى العُجْم والعُرْب[1]

وإن أنا ناجيتُ القلوب تمايلتْ بها نسماتُ الشعر قلباً على قلب

وبى مَن إذا شاءتْ وصفتُ جمالَهَا فوالله لا يبقَى فؤادٌ بلا حُب ! !

من الغيد ، أما دَلُّهـا فملاحةٌ وأما عذابى فهو من ريقها العذبِ

ولم يُبْقِ منها عُجْبُها غيرَ خطرةٍ ولا هى أبقتْ للحسان مَن العُجب

عرضْتُ لها بين التذلُّل والرضا وقد وقفتْ بين التدلُّل والعتْب

وأبصرتُ أمثـال الدُّمَى يكتنفنها

فقلت : أهذي الشُّهب أم شبه الشهب ؟

فما زال يَهدى ناظرى نورُ وجهِها كما نظر الملّاحُ فى نجمة القطب

وقد رُحْنَ أسراباً وخِفْتُ وشاتَها فعيني فى سرب وقلبىَ فى سرب

وقالت : تجلَّدْ . قلت : يامىّ سائلى عن الحزن يعقوباً ويوسفَ فى الجب

وما إن أرى الأحباب إلا ودائعاً تُرَدُّ ، فإما بالرضاء أو الغضب . !

سنة ١٩٠٢ مصطفى صادق الرافعي

(١) من هنا كان الرافعي فى سنيه الأولى ولوعاً بأن يسمى (شاعر الحسن)

في هدأة الليل

قيثارتي . . .

« كأنما قلبي في خفقة * فراشة أنت لها المشعل »

الكونُ ساجٍ، والدجى مُسْبَلُ — والبدرُ في هالتهِ يرفُلُ
والليلُ كاليمِّ بعيدُ المدى — لا آخرٌ يُرجى ولا أوّلُ
ونسمةُ الأمواجِ خفّاقةٌ . . — حيرى فلا قصدٌ ولا موئلُ
رخيّةُ الأنملِ في مسّها — كأنها في لينها المخملُ
والنجمُ وهنانُ السنا راجفٌ — والطيرُ معقودُ اللُّها مُجفلُ
فسلسلي الأنغامَ في هينةٍ — كما سرى في الجدولِ السلسلُ
ورقرقي الألحانَ تثملْ بها — فمن رقيقِ اللحنِ ما يُثملُ

* * *

أغفتْ لحاظُ الكونِ من حولنا — وغابَ في أغصانهِ البلبلُ
وأسبلَ الجفنَ بنانُ الكرى — وأسدلَ السجفَ الدجى المُسدلُ
وعدتُ في الليلِ وقيثارتي — ترجّعُ اللحنَ وتسترسلُ
لحنٌ كما الحُلْمُ رفيفُ الرؤى — يحفلُ بالآمالِ ما يحفلُ
قد فاضَ في قلبي فأحيا بهِ — ما كادَ من نضرِ المنى يرحلُ
كأنما أوتارُها جدولٌ — ينهلُ منهُ الروضُ ما ينهلُ
روحي على ضفّاتهِ نبتةٌ — حياتُها في روضِها الجدولُ

* * *

كم تُسكرُ النفسَ أرانينُها — ويستخفُّ القلبَ ما يذهلُ
كأنما ألحانُها نسمةٌ .. — تروحُ بين الزهرِ أو تُقبلُ
والقلبُ في هبّاتها زهرةٌ — تُرسلها الأنسامُ ما تُرسلُ

* * *

يا أيها القلبُ الأمَ الأسى — والكونُ صافٍ حولنا يجذلُ
أذبلتني من طولِ ذاك الضنى — والزهرُ إن طالَ المدى يذبلُ
فدعْ أسى الدنيا وآلامها — واطرحْ من الأشجانِ ما يثقلُ
حُثَّ الخُطى وانعمْ بصفوِ الصبا — فالعمرُ يخبو، والصبا يأفلُ
ما خافَ ذاك العمرِ إلا الردى — نهايةُ السنبلةِ المنجلُ .

* * *

قيثارتي هزّي الدنا نشوةً — كما تهزُّ السنبلَ الشمألُ
كأنما قلبي في خفقهِ — فراشةٌ أنتِ لها المشعلُ
إن أبقتْ الدنيا لهُ مأملاً — فأنتِ سؤلُ القلبِ والمأملُ

* * *

فسلسلي الأنغامَ في هينةٍ — كما سرى في الجدولِ السلسلُ
ورقرقي الألحانَ تثملْ بها — فمن رقيقِ اللحنِ ما يثملُ

اسكندرية — احمد فتحي مرسي

حمامة الموكب (1)

لا والذي علم الغيوب وصانها — لا أدعي علماً بأي مغيب
لكن فطنت إلى دقائق حاضري — فنظرت للآتي بعين مجرب
إن الحمامة فوق ركب مليكنا — روح النبي محمد في الموكب
هذي مبايعة بسر ما انجلى — وسينجلي في لمحة أو أقرب
ركن الخلافة لن يظل معطلاً — تاج الخليفة بين أجنحة النبي
واهاً لكم يا آل مصر رأيتمو — روح الرسول على الفناء الأرحب
هبطت على القصر المنيف بسحرة — ميمونة يوم الخميس الأطيب
ورأت خليفتها لدى استيقاظه — في الفجر نعم المجتبَى والمجتبِي
ولى المتوج وجهه مستقبلاً — بيت الإله بعزة وتهيب
ذرعت له أفق السموات العلا — لتراه يوم حلوله في المنصب
لترى معزاً دينها ومجدداً — سلطانها ومعيد عزة يعرب
وافرحة الورقاء لما شاهدت — تقوى الإله وعزة المتربب
أمنت على القسم العظيم وليه — وحبته سر طريقها والمذهب
وافرحة الفاروق بالروح التي — نزلت على أهل لديه ومرحب
فاروق يا مولاي إن إشارة — أغنت لديك عن المقال المسهب
المشرق الأقصى رنا إسلامه — شوقاً إلى مصر وأقصى المغرب
يرجو إمامتها وأنت إمامها — أيذاد عندك ظامئ عن مشرب

عبد اللطيف النشار

(1) يريد الحمامة التي هبطت على المركبة الملكية وظلت عليها في ذهاب الموكب إلى البرلمان ورجوعه إلى عابدين



مهر الوظيفة

للأديب نجيب محفوظ

كانوا أربعة فتيان ، جمعتهم فى البدء نشأة الصبا على مابين القصور الشماء والبيوت البسيطة من تفاوت ونفرة ، وآخت بينهم زمالة الدراسة الطويلة ما بين ابتدائية وثانوية وجامعية ، وأغراهم بالطموح إلى المجد اجتهاد عظيم وعزم متوثب ونجاح مؤازر لم يخنهم عاماً من الأعوام حتى غدوا تملأهم الثقة ويلهب قلوبهم الحماس .

وذكروا في حياتهم الدراسية العالية مثالاً لهم شرذمة من رجال مصر نشأوا على الاخاء نشأتهم ، وتزاملوا فى الدراسة زمالتهم . ثم كان منهم الوزير الخطير والمالي الكبير والفيلسوف الحكيم والمشرع العبقرى ، جعلوهم نبراساً منيراً بهداه يهتدون ، ومن قوته يستمدون ، وبعظمته يرجون ويأملون ، ولم تقصر أخيلتهم عن التوفيق والابداع ، فربط كل منهم نفسه بواحد من هؤلاء العظام اما لصفة ظاهرة أو سجية غالبة أو خلق معروف .

فلما أن حصلوا على ليسانس الحقوق ووضعوا أول قدم فى طريق الحياة العملية الجديدة انتظر كل منهم تعيينه داعياً أن يجد فيه مايحقق أحلامه ويؤدى إلى هذه الحياة التي سعى إليها طويلا وبذل النفس كى يحقق مثلها الأعلى ، وما كانت الوزارة لدى الزميل منهم إلا بعض أحلامه . . .

وفى الفترة التى أعقبت ظهور النتيجة ارتحل اثنان من الأربعة — وهما الثريان — إلى المصايف كعادتهما كل عام ، وسافر واحد من الاثنين الباقيين إلى كفر الشيخ مسقط رأسه ، وبقى في القاهرة « الأستاذ » جودة وهو شاب بسيط الحال من أسرة فقيرة فى الصيت والرجال ، عميدها موظف صغير بالبريد جاوز الخمسين ولم يجاوز مرتبه خمسة عشر جنيهاً ، ولم ين الشاب عن السعى فحرر عدة طلبات استخدام وأرسلها إلى وزارة الحقانية وأقلام القضايا فى الوزارات المختلفة ، وكان طيب القلب قليل الخبرة فانتظر على شئ من الأمل والاستبشار ، وفات يوم ويومان وأسبوع وأسبوعان ، وشهر وشهران ولم يلق رداً أو يرى فى الأفق بشيراً من الأمل ، فراجع نفسه فى تفاؤله وتلفت يمنة ويسرة فلم يجد من يهتم لشأنه سوى أبيه العجوز الضعيف الذى لا يملك له ضراً ولا نفعا .

وعلى غير انتظار زاره صديقه رشدى ففرح به أيما فرح وكان فى أشد الحاجة إلى من يبادله الرأى ويبثه الشكوى ويتقبل منه العزاء ، فبادره سائلا :

« أراجع أنت من كفر الشيخ . . . ؟ »

فرد عليه الشاب وهو يتنهد :

« أى كفر الشيخ يا رجل . . . لقد كنت تلك الشهور التى غبتها عنك كالرحالة أجوب البلدان وأزور الرجال وأتسقط الرزق . . . والآن ما أخبارك أنت . . . ؟ »

« لاشئ مطلقاً سوى أنى سعيت للتوظف وعدت من مسعاى بالخيبة . . . هل من أخبار عن صديقنا حامد وإبراهيم ؟ »

« أخبار سعيدة والحمد لله . . . هما الآن موظفان بالحكومة المصرية . . »

« مبارك حظهما . . . ولكن كيف حدث هذا . . . ؟ »

« كيف حدث هذا ؟ أتحسب أن حامداً يشق فى طلب وظيفة وأبوه مستشار فى محكمة النقض والابرام ؟ لقد كان تعيينه بالنيابة العمومية أمراً مفروغاً منه من يوم أن التحق بالكلية »

« حسن . . وابراهيم ؟ نعم إن إبراهيم غنى ولكن أهله فلاحون وليسوا من ذوى المناصب الحكومية . . . »

« المال أبو الخوارق ، وإبراهيم شاب جسور ، أفتعلم ماذا صنع ... ذهب إلى وكيل وزارة الخارجية وهو من بني بلدته ،

وطلب يد ابنته ومهرها ألف جنيه . . . ولما كانت هذه الفتاة من ذوات الأمزجة الرقيقة اللاتى لا يجوز أن يمضين شهر العسل في مصر فمما قريب سنذهب جميعاً لتوديع صديقنا العزيز وهو فى طريقه إلى السفارة المصرية بروما . . . »

فبدت الدهشة على وجه الشاب وتساءل :

وما الذى زكاه — وهو شاب ناشىء — فطاب فى عينى هذا الرجل الخطير . . . ومثل ابنته يتنافس فيها خيرة الموظفين الممتازين . . ؟

« ما فائدة التساؤل ؟ هب أنها عاطل من الجمال . . . أو أن رشاشاً ينال سمعتها . . أو . . أو . . فما يهمنى سوى رواية ما عندى من الأخبار . . . »

وصمتا لحظة جامدين خلا فيها كل منهما إلى أفكاره ثم نظر الشاب إلى رشدى وقال :

« ها إن الصديقين يرسمان الخطوة الأولى فى الطريق المؤدى إلى المجد ولا يبعد أن يحققا مرة أخرى المثل الأعلى الذى سبق أن حققه الباشوان اللذان كان الصديقان يترسمان شخصيتيهما »

فأحنى الأستاذ رشدى رأسه مؤمناً فعاد الآخر إلى سؤاله بعد تردد :

« وأنت . . . ؟ »

« أما أنا فقد سعيت كما سعيت وأغلقت الأبواب فى وجهي كما أغلقت فى وجهك ولكنى لم أسلم للخيبة كما سلمت لها ، ففى ميدان المحاماة متسع لجميع ذوي العزائم والهمم ، والمحاماة ميدان تبرز فيه ملكات الرجال ومزاياهم ، فلا ينبغ فيها إلا كل عبقرى جبار ؛ وما أجدرها أن تبلغ بى ماتتمنى نفسى من المثل الأعلى ... »

* * *

هذا جميل ، ولكنه لا يستطيع أن يحتذى حذو رشدى ولا أن يأمل آماله ، فآل رشدى على شىء من الثراء يمكنهم من أن يؤيدوا الشاب حتى يقف على قدميه ، أما هو فلا يمكن أن يطالب أباه بشىء من هذا ، لأنه يعلم علم اليقين أنه شيخ فقير وأنه يربى خمسة من البنات والبنين ، فما عسى أن يصنع . . . ؟ »

لقد أظلمت الدنيا فى عينيه وذوت أزاهر آماله اليانعة وبات يذكر أحلامه عن المجد والوزارة بالاستهزاء المرير والسخرية الأليمة ، وداخله شعور قوى بتفاهته وتفاهة الدنيا وأحلامها ومسراتها ، فعاش زمناً فى ظلمة أشد حلكة من ظلام القبور .

* * *

وبعد حين زاره فجأة الأستاذ رشدى ، وكان فى هذه المرة منشرح الصدر جذلا مسروراً فبادره بقوله : —

« قل معي يا بشرى . . . لقد اهتديت إلى كنز ثمين . . . فأصبت منه حظاً وأرجو أن تنال منه مثل حظى . . » فنظر إليه نظرة المريض المشرف على الهلاك إلى طبيبه . فاستطرد رشدى قائلا :

« لن تغرب شمس الغد على حتى أكون من الموظفين . . من أعضاء النيابة العمومية . . »

« مبارك . . . »

« أرجو أن أهنئك بدوري عما قريب .. والآن اصغ إلى فانى أعلم أنك تتلهف الى معرفة حقيقة المسألة . هو مكتب للمعاملات المالية فى الطابق الخامس من عمارة رقم ٨٥ شارع سليمان باشا مديره رجل فى الأربعين حنكته الأيام والتجارب ففاق الفلاسفة فهماً للنفوس والرجال ، يعرفه جميع الماليين وكبار الموظفين لأنه يقرض النقود بأرباح هادئة . وقد غدا بحكم اتصاله بكبار رجال الدولة من زبائنه ذا نفوذ عظيم . له ظاهر يعلمه الناس جميعاً وباطن يعلمه هو وهم وأمثالنا من ذوى الحاجات . . هل أدلك على قريب لى من أصدقائه المقربين ، خاطبه فى أمرك فان رأى أن شروطك ملائمة كان واسطتك إليه ، وثق يا صديق أنه إذا كتب لسعيك لديه النجاح فانك لا شك غداً من موظفي الحكومة الممتازين »

* * *

وفى عصر ذلك اليوم كان عند قريب الأستاذ رشدى . . . وقد قدمه إليه صديقه فلقى منه ترحيبا شد عزيمته وأنعش أمله ، قال له الرجل بعد ما بسط له مسألته :

« أذكر لى الوظائف التى ترغب فى الالتحاق باحداها »

فأجابه جودة :

« النيابة العمومية . . . قلم القضايا . . . السفارات أو القنصليات . . . »

« أوه ... إنك تنظر إلى علُ ... فما هي مؤهلاتك ... ؟ »

« ليسانس الحقوق »

« شهادة فى ذاتها مبجلة ... ولكن ليس العبرة بالشهادات... هل لك أقارب من ذوى المناصب . . . ؟ »

فضحك الشاب وقال :

« لو كان لى ما سعيت إليك . . . »

« حسن . . . من يطلب ثميناً فليدفع ثميناً . . . إلا أنى أرجو أن تذكر أنه ما أنا إلا واسطة نزيهة ، وإنى إن مددت لك يدا فلأنك صديق رشدى ولأنه حدثنى عنك بما جعلنى أقدرك وأعطف عليك . . . والآن اسمح لى أن أعرض عليك الوسائل التى قد تبلغ بك إلى غايتك المقصودة ، وما علىّ جناح إن لم يصادف بعضها هواك أو لم يستحق احترامك فعلى العرض وعليك الاختيار . . . »

فأحنى الشاب رأسه أن نعم ؛ فاستطرد الرجل همسا :

« النساء من أنجع الوسائل تحقيقاً للغرض ... أم جميلة ... أخت شابة ... زوج ظريفة ... أرى وجهك تحتقن فيه الدماء .. وتلهمه سورة الغضب ، حسن فلندع هذه الوسيلة . . . »

« نعم . . . نعم . . . »

« وسيلة أخرى شريفة جدا . . . الزواج . . . ولكنه ليس زواجا بهذه الفتاة أو تلك ... وإنما هو طلب الانضواء تحت لواء اسم كبير . . . أو أسرة عتيدة . . . »

فانبسطت أسارير وجه الشاب وخفق قلبه من نشوة الأمل وصاح :

« هذا على هين . . . »

« لاتتسرع فليس الأمر كما تظن ... فشهادتك لاتكفي ... هذه الأسر تهمها المحافظة على المظاهر ... وصون اسمها عن انتقادات الصالونات ما أمكن . . . فمهر كبير يخرس الألسن ويدعم أى ادعاء وإن بعد عن الحقيقة . . . »

فعاوده اليأس واستشعر الخيبة مرة أخرى وقال : —

« فلألحق بوظيفة . . . وليدعوا لى فرصة حتى اقتصد من مرتبي وأفى بوعدى . . . »

« وما الداعي لرهان غير مضمون . . . والزبائن النافعون غيرك غير قليلين . . ؟ »

« إذاً هات وسيلة أخرى . . . »

« وآسفاه إنها لا تكاد تختلف عن هذه إلا فى الاسم . . : هى المـال »

« وكم ينبغى أن أدفع ؟ »

« مهر الوظائف التى تطلب من الألف فصاعدا . . . »

الألف . . . إن والده لم يربح من الحكومة طوال عمره بها ضعف هذا المبلغ فكيف يأتى به فى ساعة من الزمن ؟ أواه . . . إن اليأس ينشب فيه أظافره فيستقر فى قلبه . . . ولكن التمعت فى ذهنه فكرة فصاح :

« لم لايقرضنى صاحبك المرابى المبلغ الذى يريد ويكتب على صكا أسدده فيما بعد من مرتبى ؟ »

« فكرة حسنة ، ولكنه رجل مرت به جميع التجارب وهو يرفض عادة أن يقرض مبالغ ضخمة لغير ذوى المراكز المالية المضمونة ، ولكنه قد لا يرى بأسا من كتابة صكوك وهمية كهذه بمبالغ صغيرة . . . مائة جنيه أو مائتين لمن يرغب فى وظيفة كتابية مثلا . . . »

وظيفة كتابية ؟ أين هذه من المجد والوزارة ومَثَله الباشا العظيم ؟

ولكن ما باليد حيلة وقد سدت فى وجهه الطرق وأظلمت الدنيا في عينيه فينبغي أن ينفض عن الآمال العالية ولو إلى حين ريثما يبحث عن كسرة الخبز أولا ، ومن يعلم فقد تتمخض البداية الصغيرة عن نهاية عظيمة ! فكم من الوزراء بدأوا كتبة فى المحاكم المقبورة فى أقاصى الصعيد

وهكذا اضطر إلى أن يحول قلبه عن محركات الدولة الكبرى إلى آلاتها الصغرى الميكانيكية التى تتحرك ولا تدرى لم تتحرك أو كيف تتحرك

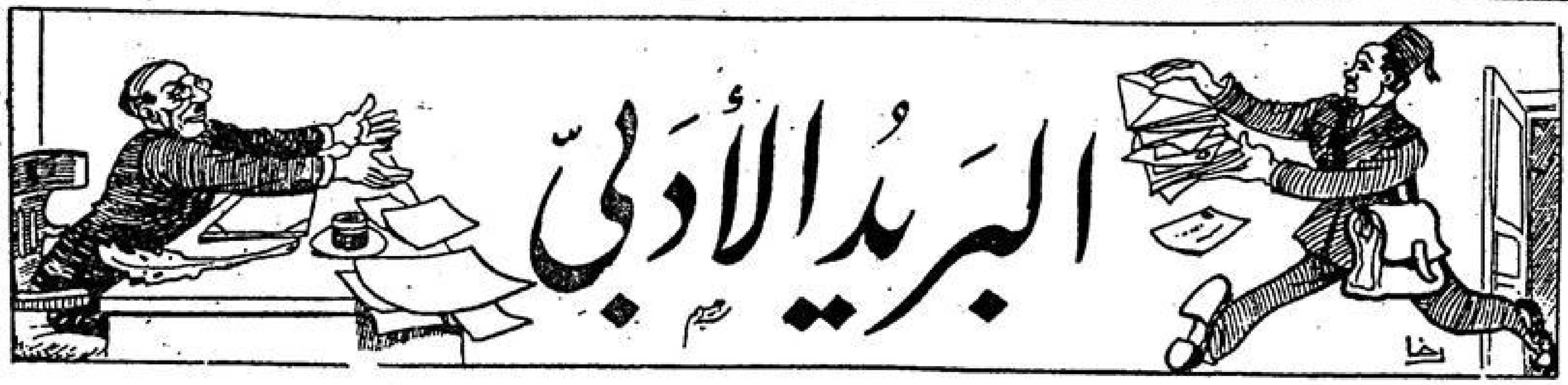
وأصبح ذات يوم فوجد نفسه فى حجرة واسعة تتزاحم فيها المكاتب الهرمة يقعد وراءها قوم خيل إليه — لجودهم وتفاهتهم — أنهم قطعة من بنيانها المتهدم

المركز صغير . . والمرتب ضئيل . . ترى هل ينتظر طويلا كى يضخم هذا المرتب أو يعلو هذا المركز ؟ واقترب برأسه من زميل له وسأله همساً :

« ما موعد علاوتى المقبلة ؟ »

فنظر إليه الرجل دهشاً ورد عليه بصوت مسموع رنان :

« يحل موعد علاوتك — ومقدارها جنيه واحد — بعد



دولة الأدب والعهد الجديد

يحق لدولة الأدب أن تتطلع إلى العهد الجديد ، عهد الملك الفتى فاروق الأول ، وأن تؤمل أن تجتنى من الرعاية والشباب والجدة ما يسبغ عليها قوة جديدة ويحملها إلى آفاق جديدة أوسع وأعظم من آفاقها الحاضرة ، وقد كنا وما زلنا نؤمل أن تفتتح الهيئات الرسمية والعلمية العهد الجديد بطائفة من المشاريع العلمية والأدبية الجليلة ؛ ومن بواعث الأسف أن الجهات الرسمية لم تفطن إلى أهمية هذه المناسبة السعيدة وكونها من أصلح الظروف لوضع المشاريع الأدبية وترتيب الجوائز العلمية والأدبية ، وقد رأينا الأمم الأوربية تتخذ هذه المناسبات لتنظيم الرعاية الأدبية وتنظيم المشاريع والجوائز العلمية الجليلة ، ورصد الاعتمادات والهبات لتشجيع الحركة الفكرية وتشجيع الكتاب والمفكرين ، وافتتاح العهد الجديد بنوع من الحملة الأدبية والعلمية تسبغ على الحركة الفكرية حياة جديدة . أما فى مصر فقد مرت هذه المناسبة الجليلة ، مناسبة تتويج الملك الشاب وافتتاح عهده الغض الجديد دون أن تحظى الحركة الأدبية من جهاتنا الرسمية والعلمية بما كان خليقاً أن تحظى به من المشاريع والجوائز ؛ ولم يفطن إلى هذه المناسبة سوى دار الكتب المصرية إذ رتبت عدة جوائز أدبية من الكتب للمتفوقين من الطلاب ؛ وهذا الاجراء على ما ينطوى عليه من معنى مشكور إنما هو اجراء متواضع كنا نود أن يصدر مثله مضاعفاً من هيئاتنا الرسمية العلمية ؛ وقد كان خليقاً بوزارة المعارف العمومية والجامعة المصرية والأزهر ومجمع اللغة أن تنظم جميعاً مشاريع وجوائز علمية تعلن فى مفتتح العهد الجديد وتكون عنوان عصر جديد من الاحياء العلمي والأدبي ؛ ولكنها جميعاً غفلت عن هذه الفكرة الجليلة . على أن الوقت مازال متسعاً للتفكير والعمل ؛ وما زلنا نؤمل أن تنتهز هيئاتنا العلمية هذه الفرصة لتعمل على شد أزر الحركة الأدبية بصورة عملية ؛ وإذا كانت الحركة الأدبية قد حققت لنفسها فى العصر الأخير تقدماً يبعث إلى الفخر والرضى، فقد كانت فى ذلك مستقلة تعمل من تلقاء نفسها ، ولو حظيت بقسط من الرعاية الرسمية لكان تقدمها مضاعفاً ، فهل نظفر فى العهد الجديد بمثل هذه الرعاية الكريمة ؟ هذا ما نرجو ، وهذا ما ندعو إليه .

آثار للشاعرة سافو بمصر

عثر أحد علماء الآثار الايطاليين وهو السنيور بريشا والسيدة ليديا نورسا أثناء مباحثهما في مصر عن الآثار الخزفية القديمة على قطعة من الخزف ترجع إلى القرن الثانى من الميلاد ، وقد نقشت عليها ثمانية عشر سطراً من نظم الشاعرة اليونانية الشهيرة « سافو » ، وهى أول مقطوعات من نوعها وجدت لهذه الشاعرة وقد قام بترجمة هذه النقوش العلامة الايطالى جوفريد وكوبول ، وظهر من تلاوتها أن الشاعرة قد كتبتها أثناء إقامتها بجزيرة أقريطش ، وهي فى ملخصها ترنم بمحاسن الطبيعة والأحراج الخضراء فى تلك الجزيرة .

أربع سنوات بصفة اسمية تصير فعلية بعد سنة فالمدة كلها خمس سنوات . . . »

ولفتت إجابة الرجل انتباه الحاضرين فعرفوا بداهة السؤال الذى اقتضى هذه الاجابة فلم يملكوا أنفسهم من الضحك . . . ومن حقهم أن يضحكوا من هذا الشاب الذى يسأل عن موعد علاوته ولما يمض عليه فى العمل أسبوع ، وقال له واحد منهم:

« ستعلمك هذه الوظيفة أن تستهين بأمتع فترة من عمرك وهى الشباب . . . فتستحث كل يوم ـ من أجل جنيه واحد ـ خمس سنوات من العمر اليانع أن تفوت وتنطوى . . . ! »

نجيب محفوظ

وسافو كما هو معروف أعظم شاعرة عرفت فى التاريخ ، وهي يونانية عاشت فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد ، وهى صاحبة أعظم وأجل مقطوعات غنائية عرفتها دولة الشعر .

ومن الغريب أن تخرج هذه التحفة الأثرية من مصر ؛ ومن الأسف ألا تجد السلطات المصرية وسيلة لمنع هذا السيل المتسرب من تحفنا وآثارنا .

مؤتمر للصيد تمثل فيه مصر

من أنباء برلين أنه سيعقد بها مؤتمر دولى عظيم للصيد فى شهر نوفمبر القادم ؛ وسيقام إلى جانبه معرض للصيد يكون أعظم ماعرف العالم من نوعه إذ سيغطى مساحة قدرها نحو عشرة أفدنة ، وسيضم نماذج من آلات الصيد ومناظره المختلفة منذ فجر التاريخ إلى يومنا ، وستشترك مصر فى هذا المؤتمر ، وترسل نماذج وصوراً من آثارها المتعلقة بالصيد عند الفراعنة لتعرض فى هذا المعرض العظيم .

العيد المئوى لدار نشر عظيمة

احتفلت دار النشر الألمانية الشهيرة «تاوختنز» Tauchnitz بليبزج بعيدها المئوى ؛ ولعله لا يوجد بين مئات الملايين الذين يقرأون الانكليزية فى مختلف أنحاء الأرض من لا يعرف مطبوعات هذه الدار الشهيرة التى اشتهرت بجمالها وأناقتها واعتدال أثمانها ؛ وقد كان تأسيس هذه الدار فى سنة ١٨٣٧ على يد كرستيان برنهارد تاوختنز ، أسسها لتقوم بنشر مؤلفات الكتاب البريطانيين والأمريكيين وبالفعل لم تترك علماً من هؤلاء الكتاب الذين يكتبون بالانكليزية إلا نشرت جميع مؤلفاته فى قطع جميل موحد ، وتضمنت مطبوعاتها مؤلفات جميع كتاب العصر الفكتورى مثل ليتون وتاكرى وكارلايل ودكنز وكولنس وهاردى وكونان دويل وكابتن ماريات ، وجميع الكتاب الأمريكيين مثل كوبر ومارك تون وبريت هارت وادجاربو وهاوتورن وغيرهم ؛ وقد جرت الدار على أن تنشر مؤلفات الكاتب كلها فى نفس القطع والشكل ؛ وقد أخرجت حتى يومنا أربعين ألف مجلد و٥٢٦٠ كتاباً للمؤلفين الانكليز والأمريكيين فى القرن الماضي والقرن الحاضر .

ومن الغريب أن دار تاوختنز كانت تنشر كتب المؤلفين دون استئذان ولكنها كانت ترسل اليهم بعض تعويضات عن حقوقهم وكان ذلك صنيعاً يحمد من جانبها لأنه لم يكن هناك فى ذلك العصر تشريع دولى لحماية المؤلفين وحقوق التأليف ، ولكن مطبوعات تاوختنز لم يكن يسمح بدخولها فى انكلترا ولا الأملاك البريطانية لاعتدائها على هذه الحقوق فيما يظهر ، بيد أن السائح الانكليزى يشترى منها خارج بلاده بكثرة ، ويشتريها جميع الذين يتكلمون الانكليزية فى مختلف البلاد . ويقدر أن قراءها من الانكليز لا يزيدون على عشرين فى المائة بينما يقدر قراؤها من أبناء الأمم الأخرى بنحو ثمانين فى المائة .

وفى سنة ١٩٣٤ بيعت حقوق أسرة تاوختنز فى النشر إلى دار نشر ألمانية أخرى فى ليبزج هى دار أوسكار براندشتتر ، وهى تقوم أيضا بنشر المؤلفات الانكليزية تحت عنوان معروف هو « مكتبة البتروس »

التاريخ السياسى المعاصر

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن التاريخ السياسى المعاصر عنوانه « العلاقات الدولية منذ معاهدة الصلح » Int. Relations Since the Peace Treaties لمؤلفه المؤرخ الأستاذ هنرى كار وقد كان الأستاذ كار مدى أعوام طويلة ، من كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية ، وأتيحت له فرصة حسنة لدراسة العلاقات الدولية عن كثب ومراجعة المحفوظات والوثائق الهامة ؛ وهو يقدم لنا فى كتابه عرضاً موجزاً للحوادث والعلاقات الدولية منذ عقد معاهدات الصلح فى سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٧ ، ومن رأيه أن معاهدة فرساى كانت وثيقة سيئة لم يحسن وضعها ، لأنها قصدت فى مجموعها إلى إذلال ألمانيا وانتهاز فرصة هزيمتها وضعفها إلى حدود أبعدت الشعب الألمانى نهائياً عن أوربا الغربية وجعلت من المستحيل على الحلفاء السابقين أن يطمعوا فى ولائه أو مصادقته، ثم يستعرض الأستاذ كار سياسة إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية فى النمسا وأوربا الوسطى ، وأن ما يجمع بين السياستين هو عاطفة السخط على الدول التى استغلت ظفر الحرب واستولت على جميع الثمار والأسلاب ، ولكن هذه الجامعة السلبية ينقصها كثير من عناصر الوئام والتناسق . وكتاب الأستاذ كار على العموم سجل بديع لتاريخ الدبلوماسية الأوربية منذ خاتمة الحرب الكبرى إلى يومنا .

الحب والشعراء

قرأت المقال الطريف « فى الحب أيضاً » للأستاذ الأديب إبراهيم عبد القادر المازنى فى الرسالة عدد ٢٠٨ حتى وصلت إلى قوله : « وخليق بالمرء وهو ينظر إلى هـذه الفتنة المجتمعة ، أن تدركه الحيرة ، وأن يزوغ بصره ، فلا يعود يدرى أى هؤلاء الجميلات أولى بحبه ، فإن لكل جسم فتنة ، ولكل محيا سحره ، ولو أني وقفت على البحر لكان الأرجح أن أحب هؤلاء جميعاً ، جملة ، وأن أشتهى أن أضمهن كلهن فى عناق واحد فإن الظلم قبيح . ونفسى لا تطاوعنى على غمط الجمال فى أية صورة من صوره . ومن يدرى لعل القدرة على إدراك معانى الجمال فى مظاهره المختلفة هى التى وقتنى الحب ، ومنعت أن أعشق واحـدة على الخصوص وأجن بها » الخ

وهنا رأيت أن روح التصوف قد حلت فى الأستاذ من غير أن يعرفها ، أو يعرفها ولا يريد أن يتظاهر بها . فإنه بين الصوفية من يقول : « همه أوست » أى كل شيء هو ؛ ويرى أن الله روح سائر فى الكون . فكل شيء فيه مظهر من مظاهر جماله تعالى . لذلك لا وجود للقبح عندهم بل كل شيء حسن فى ذاته . وهؤلاء غير من يقول « همه أزوست » أى كل شيء منه . فهم لا يقولون كقولهم إن الله روح سائر فى الكون ، بل إنه تعالى مصدر لوجود الكون ، وإن كل شيء فى الكون وميض جمال قدرته وشعاع كمال صنعه ؛ وعلى هذا فلا وجود للقبح بالنسبة إلى قدرته تعالى وصنعه

ولكن هؤلاء الصوفية مع تلك العقيدة لم يضنوا بقلوبهم على فرد خاص من أفراد الجمال الكثيرة فى هذا العالم كما يضن الأستاذ بقلبه . فإننا كلما تتبعنا حوادث حياتهم ودرسنا سيرتهم وجدنا أن قلب كل منهم تقريباً علق بفرد خاص من أولئك الأفراد وأصبح فيما بعد دليلا لسموهم النفسى ، وسبباً لتقدمهم الروحانى

بقى ما هو الحب ؟ فينظر الأستاذ إليه نظرة المتشائم ويقول إنه مرض ، وينسب ما اتصف به الحب من المزايا والمحاسن فى الشعر والأدب إلى الشعراء ومبالغتهم فيه . فكأن الشعراء هم الذين وصفوا هذا المرض المستحق للذم بالأوصاف والمزايا تفاؤلاً فيه ، وإلا فهو نفسه لم يكن خليقاً بها . لذلك ختم الأستاذ مقاله بالدعاء على الشعر والشعراء . ولكننا نقول للأستاذ ألا يبادر فى الدعاء عليهم فإن للتشاؤم وجوداً فى كل مكان مهما كان مصدره ، سواء أكان خيبة أمل ، أم كبر السن ، أم فساد الطبع . فبين الشعراء أيضا من يرى رأى الأستاذ . قال الشاعر الفارسى :

چنين قحط سال شداندر دمشق
كه ياران فراموش كردند عشق

اشتدت المجاعة فى دمشق إلى درجة أن نسى الناس العشق .

وقال الآخر : أين نه عشق أست آنكه در مردم بود
أين بلا أزخوردن گندم بود

إن العشق الذي يوجد فى الانسان لا أصل له فان هذا البلاء يوجد من أكل القمح .

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

القسام والقسامة ، السمحة

قال الأستاذ فكري أباظه [1] : « لماذا لا يستعمل الناس هذا اللفظ الجميل البليغ — يعنى الكسم — ولا أعلم ما رأى مجمع اللغة العربية فى فصاحته ودقته وروعته »

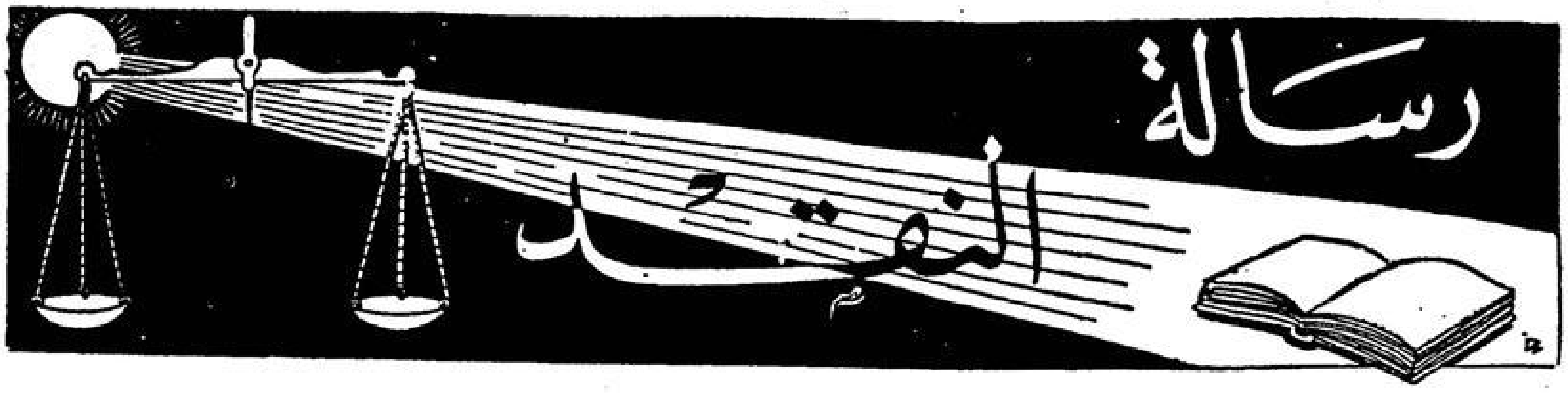
قلت : هذا (الكسم) العامي هو القسام والقسامة محرفين ناقصين ففي (التاج والأساس) : « قسم قسامة والمقسم والقسيم: الجميل معطي كل شيء منه قسمة من الحسن فهو متناسب كما قيل متناصف . ورجل قسيم وسيم بين القسامة والقسام »

ومن استثقل (القاف الثقيلة) لفظها سعدية زغلولية [2] أو محمودية رازقية (نسبة الى محمود باشا عبد الرازق رحمة الله عليه) أو علوية وقراءة جماعة منهم فى القرآن بها — كما قال ابن خلدون — وهي متوارثة فيهم ، ويرون أنها الصحيحة المضرية . وقاف الجماعة هى بين القاف والكاف

وما دمت فى ألفاظ ... فأقول : إنى وجدت فى هذا الشهر العربى فى جريدة ومجلة وكتاب هـذه الكلمة غير الصحيحة : (السمحاء) وهى لفظة لا توجد فى الأرض ولا فى السماء ، وإنما هى (السمحة) أي السهلة كما فى (النهاية) والحنيفية السمحة هي الملة التى ما فيها ضيق ولا شدة كما فى (اللسان والتاج) فهناك السمح والسمحة لا الأسمح ولا السمحاء . والحديث المشهور الذى رواه الخطيب عن جابر هو : « بعثت بالحنيفية السمحة ، ومن خالف سنتي فليس منى » وهو من الأحاديث الضعيفة كما فى (الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير) للحافظ الأسيوطى

قارئ

(١) فى مقالة فى مجلة (٢) نسبت إلى الاسم واللقب ...



نقد كتاب إحياء النحو

تأليف الأستاذ ابراهيم مصطفى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

لا ريب فى أن نحو اللغة العربية ثقيل عسير ، يحتاج إلى كثير من التهذيب والتبويب ؛ ليصبح سهل المأخذ ، قريباً إلى النفوس ، محبباً إليها درسه وفهم قواعده وأصوله

ولقد أخذت كتاب إحياء النحو ، راجياً أن أجد فيه — كما يدل عنوانه — روحا جديدة تبعث فى النحو الحياة ، أو فكرة حديثة تذلل صعبه ، وتجمع ما تشتت من أبوابه ومسائله ، وهأنذا ، بعد القراءة ، أبين رأيى فى الكتاب ، بالصراحة التى يتطلبها العلم ، وبالأدلة التى لا تدع مجالا للشك ، آملا أن أكون قد وفيت بحق النقد البرىء

وسوف أنهج فى بحثى النهج الذى اتبعه المؤلف ، فأذكر النتائج التى وصلت إليها بعد القراءة ، ثم أتحدث بالتفصيل عن الأسباب التى أدت إليها ، ويؤلمني أن تكون النتائج هى :

أولاً : أن الكتاب ليس فيه شىء جديد

ثانياً : أن الكتاب لم يحدث فى دراسة النحو ، أو كتبه ، أو قواعده أى تغيير أو تبديل

ثالثاً : أن ما فى الكتاب ليس إلا تعليلات كهذه التعليلات التى يستنبطها النحاة لشرح ما بين أيديهم ، مما وقع فى كلام العرب ، وإنك لواجد مثل هذه التعليلات التى جاء بها المؤلف ، وأكثر منها فى الحواشى والتقارير

رابعاً : أن المؤلف ادعى على النحاة قضايا غير ممحصة

خامساً : أنه فى الأبواب القليلة التى أراد ضم بعضها إلى بعض يزيد النحو عسرا ، لا سهولة وفهما ، فضلا عن أنه لم ينجح فى هذا الضم

وسآخذ الآن فى مناقشة آرائه ، وتفصيل القول فيها :

تعريف النحو

يأخذ المؤلف على النحاة ، أنهم يعرفون النحو بأنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء ؛ وهم لذلك قد ضيقوا دائرته تضييقاً شديداً ، ويجب (فى رأيه) أن تتسع هذه الدائرة ، حتى يصبح النحو قانون تأليف الكلام ، وبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة ، والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ، ويمكن أن تؤدى معناها

وليسمح لى الأستاذ المؤلف أن أخبره بأن هذا التعريف غامض الغموض كله ، فبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة قول عام مبهم ، يشمل بيان أن تكون هذه الكلمة مستعملة فى معناها الحقيق ، أوغير مستعملة ، قصد بها السجع مع كلمة أخرى أو لم يقصد ، رمي بها إلى طباق أو تورية أو جناس ، أو لم يُرمَ بها ، إلى غير ذلك ، وعلى هذا يشمل تعريف النحو علوم اللغة العربية كلها ؛ لأنها جميعها ما وضعت إلا لبيان كلّ ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ؛ ثم قسمت وأصبح لكل علم اختصاص خاص ؛ ولا أحسبنى فى حاجة إلي أن أحدث الأستاذ عن اختصاص علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع ، التى ترمي جميعها مع علم النحو ، كما قلت ، إلى بيان مايجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة ؛ ولا إخال المؤلف يريد أن يجعل علم النحو عاما شاملا يضمّ تحت جناحيه علوم العربية كلها .

ولكن يظهر أن المؤلف (وتعريفه لعلم النحو غير محدّد ولا واضح كما قلت) يرمى بكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة إلى وصف حالها من تقديم أو تأخير أو نفى أو إثبات أو تأكيد أو استفهام ، وهنا أريد أن أقف معه وقفة قصيرة نستبين فيها غرض علم النحو وغايته .

لا أحسبنى أبعد عن الصواب إذا قلت : إن غرض علم النحو (كما هو واضح فيما بين أيدينا من كتبه) ليس إلا تكوين الجمل تكوينا سليما ، وإقدارنا على النطق الصحيح الخالى من الخطأ فى التركيب . فليس صحيحا إذاً أن ندعى على النحاة أنهم قصروا بحثهم على أواخر الكلمات ، بل هم قد تعرضوا كثيراً ، وكثيراً جداً ، أكثر مما توهم المؤلف الفاضل إلى بيان وضع الكلمة من الكلمة والجملة من الجملة ، وإلى حذف بعض أجزاء الكلام لدليل أو لغير دليل ، وإلى كثير مما يعرض للكلمة من النفى والاثبات . وأكبر الظن أنى أجلب السآمة للقارئ إذا أنا أخذت أحدثه عما فى كتب النحو من ذلك كله ، ولست أكلفه إلا أن يرجع إلى كتاب من هذه الكتب ليرى بعينيه أن المؤلف كان مغاليا كل المغالاة حين ادعى على النحاة أنهم لم يعنوا إلا بأواخر الكلمات . ولأجلب الطمأنينة إلى النفوس سوف أنقل هنا مثالا صغيرا يبين دعواي : قال ابن هشام فى كتابه أوضح المسالك : وللفاعل أحكام : أحدها الرفع . . . الثانى وقوعه بعد المسند . . . الثالث أنه لابد منه... الرابع أنه يصح حذف فعله . . . الخامس أن فعله يوحد مع تثنيته وجمعه ... السادس أنه إن كان مؤنثاً أنث فعله بتاء ساكنة ... السابع أن الأصل فيه أن يتصل بفعله ، ثم يجيء المفعول ، وقد يعكس ، وقد يتقدمهما المفعول ، وكل من ذلك جائز وواجب .. الخ فأنت ترى من هذا أن حكم آخر الكلمة لم ينل إلا واحداً من سبعة — بل أقل من ذلك كثيراً — من عناية ابن هشام ؛ أما بقية أحكام الفاعل فهى علاقته بالكلمة التى قبله وبعده ، وما يعرض لهذه العلاقة من تذكير أو تأنيث أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك . وإذا شئت أن أعد الكثير من أبواب النحو التى تنقض ادعاء المؤلف طال بي القول وانتهى بي إلى الإملال

أما إذا قصد المؤلف إلى أن من غرض النحو أن يفضل أسلوباً على أسلوب ، أو أن يوجب نحواً خاصاً من التعبير إذا كان الحال يستدعيه ، أو أن يبين سر جمال نوع من القول — فذلك أمر قد تكفل به علم المعانى والبيان والبديع ، فالنحو مثلا يقف أمام الجمل الآتية موقف المصحح لها جميعاً وهى : مصر مستقلة ، وإن مصر مستقلة ، وإن مصر لمستقلة ، واستقلت مصر ، ومصر استقلت ؛ يصحح النحو هذه الجمل كلها ويقبلها ، وإذا تكلمت بواحدة منها في أى حال قبلها النحو ، ولم يخطئها ؛ أما علم المعانى فينظر إلى الحال التى يقال فيها الكلام ، فعند ما يكون المخاطب منكراً استقلال مصر مثلا وقلت له مصر مستقلة كنت مخطئاً ، لأن الحال يستدعى أن تؤكد له القول ، وأن تقول له : إن مصر مستقلة . فاذا أراد المؤلف أن يجعل ما يبحث فيه علم المعانى والبيان من اختصاص علم النحو ، ومما يجب أن تتناوله بحوثه ، فانه لم يزد على أن ضم علمين أحدهما إلى الآخر من غير ضرورة ملحة بل ضما يجلب معه الاضطراب والخلط .

هذا إلى أن المؤلف لم يشر إلى علاقة الكلمة بالكلمة ، ولا ارتباط الجملة بالجملة من أول كتابه إلى آخره ، بل قصره على حكم آخر الكلمات ، ولم يعن بغيرها .

فلسفة العامل

أطنب المؤلف في ذكر فلسفة العامل وبيان أهميته لدى النحاة ، ثم أخذ ينقد مذهبهم من غير أن يذكر رأيه الصريح في العامل ، فالنحاة قد اضطرّوا — لمذهبهم فى وجوب ذكر العامل — إلى التقدير الذى سماه تقديراً صناعياً ، ولم يبين لنا كيف نحلل هذه الجمل التى اضطر النحاة فيها إلى التقدير . وهل نكتفي حين نبين مكان كلمة الضيف فى قولنا : الضيفَ أكرمته ، بأن نقول إن الضيف لم يرد به أن يكون مسنداً إليه ، ولا مضافاً إليه ، ولذلك كان منصوباً ، أم ماذا ؟

أما أن النحاة بالتزامهم أصول فلسفة العامل قد أضاعوا معانى الكلام فى باب المفعول معه ، فلا إخالنى في حاجة إلى بيان تحامل المؤلف مما نقله هو حين تحدث عن المفعول معه من أن النحاة قد تنبهوا للمعنى ، وأوجبوا أن يتبعه اللفظ ؛ فقد قال الرضى فى شرح الكافية ما نصه : الأولى أن يقال : إن قصد النصّ على المصاحبة وجب النصب وإلا فلا . ففكرة النظر إلى المعنى فى المفعول معه قديمة معروفة ، وهى التى يقبلها العقل ويستريح إليها .

وأما ما انتقده المؤلف من كثرة خلاف النحاة في كل عامل يتصدون لبيانه ، فالمغالاة فيه ظاهرة ، فهذه الخلافات لا تجدها في لباب كتب النحو ، ولكنك تجدها في الحواشي والتقارير ، ولا يعطي لها من العناية إلا مقدار ضئيل لا يخشى منه على دراسة لباب النحو وأصوله ؛ على أن الأستاذ المؤلف قد زاد رأياً جديداً في عامل النصب وأنه وجود الكلمة في حالة لا يراد بها أن تكون مسنداً إليها ولا مضافة وسوف نناقشه في ذلك .

معانى الاعراب

جعل المؤلف الضمة والكسرة علامتي إعراب فحسب ، أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء ، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد بها أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة .

ذلك قول يتهدم أمام النقد :

أولا : لأنه ليس من المعقول ولا من الواقع في شيء أن تكون المعاني التي قصد إليها العربي تدور حول اثنين : هما الاسناد والاضافة ، حتى يهتم بهما العربي وحدهما ولا يعنى بغيرهما فلا يضع له علامة تدل عليه ، فعندنا الحال والتمييز ، وعندنا أنواع المفعول والاستثناء ، ولا إخال واحداً مما ذكرت أقل من معنى الاضافة حظاً لدى اهتمام العربي ، بل إن بعض هذه الأنواع لا يتم الكلام إلا به ، ولا يفهم المعنى إلا بذكره ، فالكلام يكون أبتر ناقصاً إذا حذفت الحال أو المستثنى أو نوعاً من أنواع المفعول أو التمييز ؛ وإذا شئت أن تلمس ذلك ، فهاك أمثلة توضح لك ما قلنا :

تقول : عدت المريض ، واجتهدت رغبة في النجاح ، وسوف أزورك الساعة الخامسة ، ونجح التلاميذ إلا سعيداً ، واشتريت أقتين جبنا ، وما جئتك إلا زائراً ؛ فانظر كيف كمل المعنى في المثال الأول بذكر المفعول به ، ولو أنك حذفته لصار المعنى ناقصاً مبتورا ؛ وفي المثال الثاني إذا أنت حذفت المفعول لأجله ، جعلت الكلام غير معلل ولا مسبب ، فتقل فائدته ومعناه ؛ أما إذا حذفت المفعول فيه في الجملة الثالثة فإنك سوف تلقى بمن تزوره في خضم من الظن والتخمين ، لأنه لا يدري متى تزوره حتى يتهيأ للقائك ؛ ولا إخال المستثنى في المثال الرابع يقل أهمية عن المستثنى منه ، فكلاهما مقصود يهتم به القائل ، ولو أنك حذفت المستثنى لفسد المعنى وأصبح خاطئاً . وقل مثل ذلك في الحال والتمييز ؛ فقد بدا لك أن العربي يقصد هذه الأنواع قصداً ، ويعنى بها عناية تامة ، فلِمَ لَمْ يميز كلا منها بحركة ، كما ميز المضاف إليه بحركة ، وإذا علمت أن المضاف إليه لم يذكر في الكلام قصداً ، ولم يؤت به لأنه مراد لذاته ، (كما يقولون) وإنما جيء به لتعريف المضاف أو تخصيصه وتقليل شيوعه فحسب — إذا علمت ذلك أدركك العجب حين ترى أن ما يقصد في الكلام ويعنى به : من حال أو تمييز أو غيرهما ، لا يهتم العربي بأن يجعل له علامة خاصة تدل عليه ، أما ما يذكر عرضاً فإن العربي يحتفل به أيما احتفال ، ويضع له حركة تميزه . ذلك قول لا يستطيع العقل أن يقبله .

ثانيا : لأنه ليس من الصحيح أن الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يراد أن تنتهي بها الكلمة ، فلو كان ذلك صحيحاً ما وقف العرب بالسكون على الكلمات التي تنتهي بالفتحة ، ولا انتهزوا فرصة اختتامها بالفتحة ، فوقفوا بها استمتاعاً بما يحبونه من نطقها . ولست أدري كيف وصل المؤلف إلى هذه النتيجة وكيف استنبطها ، مع أنه ليس في الكلام العربي كله كلمات يقف عليها المرء بالفتح إلا إذا كان آخر الاسم منونا مفتوحاً ، فلو كان العرب يحبون الوقوف بالفتحة لجعلوا وقفهم بها لا بالسكون ، ولا ختتموا بالفتحة كل كلمة تقع في آخر الجملة ، ولما أتوا بكلمات مفتوحة في أول الكلام ووسطه ؛ وذلك غير ما هو واقع بين أيدينا .

ثالثا : لأن المؤلف أراد أن يجعل الضمة علامة الاسناد ، فتكلف في سبيل ذلك عناء ومشقة ، وانتحل أسباباً لا تثبت أمام الانتقاد :

فمن ذلك أنه اضطر في سلامة قاعدته إلى أن يخرج اسم (لا) من أن يكون مسنداً إليه ، لأنه ليس بمتحدث عنه ، ولذلك كان حقه الفتحة .

« يتبع » احمد احمد بدوى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى عمارة عجم رقم ٧ }